القرآن بين التدبر والتفكر

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى مولاه
محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولى
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

القرآن بين التدبر والتفكر

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى عفو ربه

مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيم بنِ عَبْدِ اللهِ التويجري

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

رقم الإيداع: ٣٠٨٥٢ / ٢٠٢١م
الترقيم الدولي: ٨-٢٧١-٩٩٧-٩٧٧-٩٧٨

جوال المؤلف
٠٥٠٨٠١٣٢٢٢
٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢
بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa
Dar_Elollaa@hotmail.com
الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .
01050144505 - 0225117747
المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .
01007868983 - 0502357979

القرآن بين التدبر والتفكر

في ضوء القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إِنَّ اَلحَمْدَ للهَّ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاَللهَّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسَنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدُهُ اَللهُّ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضَلِّلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهْ وَرَسُولُهُ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرُ الهُدَى هُدَى محمد ﷺ، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعةٌ، وكُلُّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلُّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

الحمد لله رب العالمين على نعمه العظيمة، وآلائه الكبيرة، وآياته العظيمة، حيث أنزل علينا أحسن كتبه، وأرسل إلينا أفضل رسله، وشرع لنا أفضل شرائع دينه، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، وسائقنا إليك، وإلى جناتك جنات النعيم.

اللهم اجعلنا ممن يعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهة، ونتلوه حق تلاوته، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقيم حدوده وحروفه.

القرآن العظيم أحسن كتب الله نظامًا، وأفصحها كلامًا، وأبينها حلالاً وحرامًا، محكم البيان، جلي البرهان، تكفل الله بحفظه، فهو محروس من الزيادة والنقصان، والتغير والتبديل، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩].

القرآن العظيم فيه وعد ووعيد، وتخويف وتهديد: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

وهذا كتاب مختصر ومعتصر ، ونظراً لأهميته ، فقد أخذناه من كتابنا الواسع (**موسوعة خزائن العلوم الإسلامية في ضوء القرآن والسنة**) ، مع بعض التعديل والإضافة، لتعم الفائدة .

وبينا فيه فضائل القرآن، وأحكام القرآن، ومقاصد القرآن، وتدبر القرآن، وغير ذلك من علوم القرآن في ورقات معدودة، ليتمكن كل مسلم ومسلمة من الانتفاع به، وقد أسميناه:

(القرآن بين التدبر والتفكر في ضوء القرآن والسنة)

نسأل الله عز وجل أن ينتفع به من كتبه وقرأه ونشره، وأن يعم نفعه عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

كما أساله سبحانه أن يكتبه من العمل الصالح المقبول، والتجارة التي لا تبور .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية:٣٦- ٣٧] .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قاله كاتبه ومحرره الفقير إلى ربه ومولاه ،

محمد بن ابراهيم بن عبد الله التويجري .

المملكة العربية السعودية – بريدة – جوال:

(٠٥٠٨٠١٣٢٢٢) (٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢)

موقعنا على الأنترنت : (هذا الإسلام)

hatha-alislam.com/index

البريد الإلكتروني : Mb_twj@hotmail.com

قال الله تعالى :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ
ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾

[ص:٢٩] .

القرآن بين التدبر والتفكر

في ضوء القرآن والسنة

ويشتمل على ما يلي :

١- حكمة إنزال القرآن الكريم
٢- عظمة القرآن
٣- فضائل القرآن الكريم
٤- فواتح سور القرآن الكريم
٥- فضائل السور
٦- فقه نزول القرآن
٧- فقه تلاوة القرآن
٨- فصاحة القرآن الكريم
٩- أقسام القرآن الكريم
١٠- معجزات القرآن الكريم
١١- أنواع قراءة القرآن
١٢- فقه تدبر القرآن
١٣- علامات وثمرات تدبر القرآن
١٤- مفاتيح تدبر القرآن
١٥- لماذا نتدبر القرآن؟
١٦- مقاصد القرآن الكبرى

القرآن بين التدبر والتفكر

حكمة إنزال القرآن الكريم

أنزل الله القرآن الكريم لحكم عظيمة كثيرة ومن تلك الحكم :

أولًا : من حكم إنزال القرآن أن يتدبر الناس آياته ليفهموا ما فيها من أنواع الهدى ، وأن يتذكر به أولوا الألباب، كما قال سبحانه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

ثانيًا : الإنذار والتبشير كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ ﴾[مريم:٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾ ﴾[الكهف:١-٤] .

ثالثًا : بيان النبي ﷺ لما فيه ليزول الخلاف ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل: ٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[النحل:٦٤] .

رابعًا : تثبيت قلوب المؤمنين وهدايتهم وبشارتهم بكل خير، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[النحل:١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[آل عمران:١٣٨] .

خامسًا : الحكم به بين الناس، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[النساء:١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾[المائدة:٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[المائدة:٤٩] .

سادسًا : إخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما قال سبحانه : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم:١] .

وقال الله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

سابعًا : التذكرة لمن يخشى، كما قال سبحانه : ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾[طه:١-٣] .

ثامنًا : الذكرى وحصول التقوى ، كما قال سبحانه ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾[طه:١١٣] .

والقرآن العظيم نور يهدي به الله من اتبع رضوانه ، يهدي الله به من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، كما قال سبحانه : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾[التغابن:٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾[النساء:١٧٤] .

والقرآن العظيم إنما يلاءم البصائر النيرة والأرواح الكريمة كنور الشمس إنما ينتفع به أصحاب البصر والذي يذهب عنه للقرآن إلى ظلام الجهل فهؤلاء الخفاش لا ينتفع بنور الشمس لأنه لا يلائمه إلا الظلام فيطير ويفرح بالظلمات ونور الشمس يعميه .

وهكذا أصحاب الأرواح الخسيسة والقلوب البهيمية الخنزيرية هم خفافيش البصائر لا يلائمهم إلا الظلام والنتن كما أن الجعل لا يلائمهم إلا النتن وكما أن الخفاش لا يلائمه إلا الظلام : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[النور:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

عظمة القرآن :

الله عز وجل : هو العظيم ، وكتابه عظيم ورسوله كريم ، وثوابه عظيم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥٥] .

وقال الله تعالى عن القرآن : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر:٨٧].

وقال الله تعالى عن ثوابه العظيم فإن الله عظيم وكتابه عظيم والعظيم لا يعطي إلا العظيم : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

والقرآن الكريم كلام الله عز وجل منزلٌ غير مخلوق وكلام الله صفة من صفاته ، وصفات الكامل كاملة ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

والاختلاف ثلاثة أنواع :

١ - اختلاف تناقض .

٢ - اختلاف تفاوت .

٣- اختلاف تلاوة .

فالأول : ممنوع لأنه من التناقض ولأن التناقض لا يوجد في أحكام الحكيم جل جلاله : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود:١] .

وقد وصف الله القرآن الكريم بصفات كثيرة ، وصف الله القرآن بالحكيم ؛ لأنه حاكم في الاعتقادات يميز حقها من باطلها ، وحاكم في الأفعال يميز صوابها من خطأها ، وحاكم في الأخلاق يميز حسنها من سيئها ، وحاكم في المعاملات يبين حلالها من حرامها ، وحاكم على أن محمدًا صادق في دعوى النبوة : ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝٣٣﴾[الزمر:٣٣].

ومن أعظم ما بين الله في القرآن العظيم بيان أسماء الله وصفاته ، فقد بين الله في القرآن الكريم أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الجميلة والمثل الأعلى ، والله سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الحميدة والمثل الأعلى المنزه عن المثيل وعن صفات النقص وعن صفات البشر :﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١] .

فهو الغني عن كل ما سواه وكل ما سواه محتاج إليه ولهذا استحق الحمد كله والتكبير كله : ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ۝١١١﴾[الإسراء: ١١١]

لهذا كان الله عز وجل : هو العظيم المستحق لأعظم أنواع الحمد ، والحمد يجب أن يكون مقرونًا بالإجلال والتكبير لعظيم نعمه وإحسانه ولجلاله وجماله .

• **وتكبير الله أنواع** :

الأول : تكبير الله في ذاته فهو الكبير وحده الغني عن كل ما سواه وحده : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[الحج:٦٢] .

الثاني : تكبير الله في صفاته ، وذلك من ثلاثة أوجه .

فجميع صفات الله صفات جلال وجمال وكمال ، فهو منزه عن صفات النقص وصفات الخلق ، وكما لا نهاية لذاته فكذلك لا نهاية لصفاته ، وكما ينزه العبد ربه في ذاته عن الحدوث والتغير والزوال فكذلك ينزه في صفاته ، فصفاته سبحانه ذاتية أزلية منزهة عن التغير والحدوث .

الثالث : تكبير الله في أفعاله ، فنحمد الله ونكبره على أنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يجري في ملكه إلا ما يشاء : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية:٣٦-٣٧] .

الرابع : تكبير الله في أحكامه ، بأن يعتقد المسلم بأن الله وحده هو الملك الحق الذي له الملك والخلق والأمر وله الحكم كله يأمر بما يشاء وينهى عما يشاء .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنعام:٥٧] .

وهو الملك الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ويفعل ما يشاء : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران:٢٦] .

الخامس: تكبير الله في أسمائه ، وهو ألا يذكر إلا بأسمائه الحسنى ولا يوصف إلا بصفاته العلى، كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤] .

السادس : إذا كبر العبد ربه وعظمه وقدسه ونزهه على معرفته وطاقته اعترف أن عقله وعلمه لا يفي بمعرفة جلال الله وعظمته ، ولسانه لا يفي بشكره وجوارحه لا تفي بحق عبادته فكبر الله على أن يكون تكبيره ، وافيًا بما يستحقه الرب من المجد والتعظيم والإجلال :﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١٠-١١١] .

عظمة القرآن

القرآن العظيم كله هدى وشفاء ورحمة للمؤمنين ، فهو شفاءٌ من الأمراض الروحية من الكفر والشرك والبدع والتكذيب للكتب والأنبياء ، وشفاء من الأخلاق السيئة بالتحذير منها والترغيب في الأخلاق الحسنة : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

والقرآن شفاءٌ من الأمراض البدنية لما فيه من بيان الحلال والطيبات وإباحة أكلها ، وما فيه من بيان الطيبات من الخبائث : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف:٣٢] .

وقراءة القرآن على المرضى تدفع بإذن الله أمراض الأجسام ، لما في القرآن من البركة ، ولاشتماله على ذكر جلال الله وتعلق القلوب به وما فيه من تحقير الشياطين والسحرة :﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٨] .

والقرآن كذلك رحمة للمؤمنين لما فيه من بيان الحق من الباطل وكشف الشبهات والترغيب في الحق والعمل به والأخلاق الحسنة وغيرها ، مما يكون سببًا لوصول الإنسان إلى جوار رب العالمين :﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وكما أن القرآن شفاءٌ ورحمة للمؤمنين ، فكذلك هو سبب للخسار والضلال في حق الظالمين ؛ لأن سماع القرآن يزيدهم طغيانًا وكفرًا وتكذيبًا وحسدًا وعدوانًا وهذه الأخلاق الذميمة تزيدهم إصرارًا واستكبارًا عن الحق وتدعوهم إلى الأعمال الباطلة ، والأعمال الباطلة تجرهم إلى الأعمال الفاسدة فتفسد نفوسهم ويفسدون غيرهم فلا أشد من خسارتهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

والقرآن العظيم فيه تبيان كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وقد تحدى الله الإنس والجن بهذا القرآن العظيم على درجات فتحداهم أن يأتوا بمثله ، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨] .

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور منه ، كما قال سبحانه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾[هود:١٣] .

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة، كما قال سبحانه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[البقرة:٢٣] .

ثم تحداهم أن يأتوا بحديث من مثله ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الطور:٣٤] .

والقرآن العظيم كتاب الله ، وكتاب الله كتاب عظيم وكريم وحكيم ومجيد بالغ في الكمال والصحة والحسن والنفع ما لم يبلغه كتاب سواه :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

فالقرآن العظيم كتاب عظيم كامل في ذاته : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢]

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [الكهف:١] .

وهو كتاب كريم مكمل لغيره مقيم له لأن القيّم هو القائم بمصالح غيره : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾[الكهف:٢-٣] .

والقرآن العظيم سبب لهداية الخلق وإكمال أحوالهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ [البقرة: ٢] .

فهو الحق : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢]

يهديهم إلى الحق والأجر والثواب الحسن ، والقرآن العظيم مستقيم كله حق لا عوج فيه والعوج في المعاني كالعوج في الأشياء والله عز وجل : نفى العوج عن كتابه ، فقال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾[الكهف:١] .

وذلك من وجوه :

أحدها : نفي التناقض عن القرآن : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

الثاني : أن كل ما ذكر الله في القرآن من التوحيد والأحكام والأخبار والتكاليف فكله حق وصدق لا خلل فيه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] .

الثالث : أنه يخرج الإنسان من معرفة الخلق إلى معرفة الخالق ومن معرفة الصور إلى معرفة المصور سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويخرج الإنسان من معرفة الدنيا إلى معرفة الآخرة ومن عالم الشهادة إلي عالم الغيب وهو أعظم سبب لهداية الخلق : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾[البقرة:٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

- **نعمة إنزال القرآن العظيم :**

الله عز وجل : هو العظيم وكتابه عظيم ، وأعظم سور القرآن هي فاتحة الكتاب ، وأعظم آيات القرآن هي : آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

والله عز وجل أنزل الكتاب على الرسول ﷺ وتلك نعمة عليه ونعمة علينا ، أما كونه نعمة عليه ﷺ؛ فلأن الله عز وجل أطلع نبيه ﷺ بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال والجمال والإكرام لله عز وجل وأحوال الملائكة والأنبياء والرسل .

وأحوال القضاء والقدر وأسرار تعلق أحوال العالم السفلي بالعالم العلوي، وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب، وذلك من أعظم النعم عليه ﷺ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء:١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

أما كون هذا الكتاب نعمةً علينا ، فلأن القرآن العظيم مشتمل على أحسن الأحكام والأوامر والأخبار والوعد والوعيد والثواب والعقاب ، فلما كان كذلك وجب على كل واحد أن ينتفع به بمقدار طاقته ، ووجب على الرسول ﷺ وأمته أن يحمدوا الله على ما خصهم به من هذا الكتاب الكريم ، وقد علمهم الله ذلك بقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [الكهف:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة :٢-٧]

وقال الله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأنعام:١] .

وقال الله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[المائدة:٣] .

والقرآن الكريم كله عظيم في سوره وآياته وأخباره وأحكامه .

وقد أنزل الله في القرآن الكريم سورة العصر، وهي إحدى ثلاث سور قصيرة في القرآن وهي الكوثر والنصر والعصر .

وسورة العصر سورة عظيمة شاملة لمعاني الكمال الإنساني العلمي، والعملي في النفس وفي الغير ومؤسسة للعلاقة مع الله بين الإنسان وأخيه ، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر:١-٣].

ولم يذكر الله تعالى في هذه السورة سبب الخسارة ، وذكر سبب الربح لأن طريق الربح واحد هو الإيمان بالله عز وجل لكن طرق الخسارة كثيرة متنوعة لا تنتهي، منها :

ترك الأوامر ، وفعل النواهي .

وقد ذكر الله عز وجل في هذه السورة أنواع الكمال الإنساني العلمي والعملي ، الكمال اللازم والمتعدي .

فالكمال العلمي للإنسان، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[العصر:١-٣].

والكمال العلمي : ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[العصر:٣].

والكمال اللازم من الإنسان يتم بأمرين :

آمنوا .. وعملوا الصالحات .

فهذا جهد على النفس .

والكمال المتعدي ما يفيض من الإنسان إلى غيره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[العصر:٣].

. وهذا جهد على الغير .

- **والنجاة من الخسار لا تحصل إلا بهذه الأربعة :**

الكمال العلمي .. والعملي .

والكمال اللازم .. والمتعدي .

والتواصي بالحق والصبر يشمل التواصي بهما والتواصي بالتواصي بهما فيوصي بعضنا بعضًا فتقول أوصيك أن توصي الناس بالحق والصبر .

والله هو الحق وعبادته هي الحق وهذا مقصود الله من خلقه : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[الذاريات:٥٦] .

والصبر من الحق وهو رأس الفضائل فلا دين ولا دنيا إلا بالصبر والإيمان نصفه صبر ونصفه شكر فالإيمان والعمل الصالح يحتاجوا إلى صبر فالإنسان يستقيم لكن إذا لم يكن عنده صبر انقطع .

والتواصي بالحق يحتاج إلى صبر فمن لم يكن عنده صبر توقف ، والإنسان قد يصبر سنة أو أكثر فإذا لم يكن عنده صبر على الصبر انقطع ، والصبر يكون على فعل الطاعات والصبر عن المحرمات والصبر على الأقدار والصبر على التواصي بالحق ، ولا يمكن أن توجد صحبة بين اثنين إلا بصبرٍ وتسامح :﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾ [الروم:٦٠]

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾[النحل:١٢٧-١٢٨] .

فضائل القرآن الكريم

فضل القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾[الإسراء:٩-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر:٢٣] .

فضل تعلم القرآن وتعليمه

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وعن عثمان ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

فضل قارئ القرآن العامل به :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

وعن أبي موسى ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ لَيْسَ لهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » . متفق عليه(١) .

- **فضل الماهر بالقرآن :**

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ « المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » . متفق عليه(٢) .

- **وجوب تعاهد القرآن :**

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا » . متفق عليه(٣) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٧) ، ومسلم برقم: (٧٩٨)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٣٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩١).

- **فضل الاستماع على تلاوة القرآن :**

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهَّ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهَّ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُّ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه » . أخرجه مسلم(١).

- **فضل سماع القرآن :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧ -١٨].

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ ابن مسعود قَالَ : قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: « اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي . فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا قَال : أَمْسِكْ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ » . متفق عليه(٢).

- **فضل من يقوم بالقرآن :**

عَنِ ابن عمر رضي الله عنه ما النبي ﷺ: « قال لا حَسَدَ إِلا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ أَتَاهُ اللهُّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَرَجُلٍ أَتَاهُ اللهُّ مَالا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَار » . متفق عليه(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٩٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٨٣) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٠٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٢٨) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨١٥).

- **فضل تحسين الصوت بالقرآن :**

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « سَمِعْتُهُ ، يَقُولُ : مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ » . متفق عليه[1] .

- **فضل سورة الفاتحة :**

عن أَبي سَعِيدٍ بن المُعَلَى ﷺ قال قُلتُ : « يَا رَسُولَ الله ، إنّكَ قُلتَ : لأُعَلِمَنّكَ أعظَمَ سُورَةٍ في القُرْآنِ ؟ قَالَ : « الحَمدُ لله رَبِّ العَالمِينَ ، هِيَ السّبعُ المَثَاني وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَذِي أُوتِيتُهُ » . أخرجه البخاري[2] .

- **فضل سورة الإخلاص :**

عن أَبِي سَعِيدٍ ﷺ « أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». أخرجه البخاري[3] .

- **فضل المعوذات :**

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةُ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » . أخرجه مسلم[4] .

- **فضل سورة البقرة :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » . أخرجه مسلم[5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٨٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٤٧٠٣).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٥٠١٣).

(٤) أخرجه مسلم رقم: (٨١٤).

(٥) أخرجه مسلم رقم: (٧٨٠).

- **فضل الوصية بالقرآن :**

« حَدَّثَنَا طَلْحَةُ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ أَبِي أَوْفَى : آوْصَى النَّبِيُّ ﷺ ؟ فَقَالَ: لاَ، فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الوَصِيَّةُ أُمِرُوا بِهَا وَلَمْ يُوصِ؟ قَالَ : « أَوْصَى بِكِتَابِ اللهَّ » . متفق عليه[1].

- **فضل قراءة القرآن :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر:٢٩-٣٢] .

عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ« اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ ، قَالَ مُعَاوِيَةُ : بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ » . أخرجه مسلم[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ ؟ ! قُلْنَا : نَعَمْ ! قَالَ : فَثَلاثُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٤٠)، ومسلم برقم: (٥٠٢٢)، واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٠٤).

آيَاتٍ ، يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ » أخرجه أحمد(١) .

عن عبد الله بن عمرو ﷺ ما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح(٢) .

- **فضل من تعلم القرآن وعلمه :**

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » . متفق عليه(٣) .

وعن معاوية ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفق عليه(٤) .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٩١٥٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (١٤٦٤)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٩٤١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٨٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٣٧).

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[1].

- **عقوبة من كتم العلم :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ سُئِلَ عَنْ علْم فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَام مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[2].

- **عقوبة من طلب العلم لغير الله :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٣٦٥٨)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٦٤٩).

لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ » . أخرجه مسلم(١).

- **أما وقت قراءة القرآن :**

فقراءة القرآن الكريم مستحبة في كل وقت ، وهي عبادة من العبادات ، وعلى كل حال فهي مستحبة في كل وقت وعلى كل حال إلا إذا كان الإنسان على حاجة من بول أو غاية أو جماع فلا يقرأ القرآن لأن القرآن معظم ومحترم، كما قال النبي ﷺ: « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » أخرجه مسلم(٢).

والقرآن الكريم تعبدنا الله بتلاوته وبتدبره وبالعمل به : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد:٢٤] .

والمقصود من قراءة القرآن العمل به : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

وقراءة القرآن سبب عظيم لحصول الأجر العظيم من الله .

عن بنَ مَسْعُودٍ ﷺ قال : قالَ رَسُولُ الله ﷺ:« مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بعَشْ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٠٤).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي رقم: (٢٩١٠).

- **وتنقسم سور القرآن إلى أربعة أقسام :**

القسم الأول : السبع الطوال : وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعم والأعراف ويونس .

القسم الثاني: المئين : وهي السور التي عدد آياتها مائة أية أو أزيد أو أنقص .

القسم الثالث: المفصل: وأوله الحجرات سمي بذلك لكثرة الفصل بين آياته .

القسم الرابع : المثاني : وهو ما عدا ذلك .

- **أما عن شرف حامل القرآن فقارئ القرآن على قسمين :**

١- إما أن يكون ماهرًا به فهذا مع السفرة الكرام البررة

٢- وإما أن يتعتع به وهو عليه شاق فهو ممن يكتب له أجران أجر على قراءته وأجر على مشقته الماهر بالقرآن أفضل لجودة حفظه وإتقانه .

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَام الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » . متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٧)، ومسلم برقم: (٧٩٨) ، واللفظ له.

فواتح سور القرآن الكريم

افتتح الله بعض سور القرآن الكريم بحروف معجم، وهي أربعة عشر حرفًا نصف حروف المعجم الثمانية والعشرين، وجاءت هذه الفواتح مختلفة الأعداد .

فوردت بعض السور على حرف مثل سورة ﴿صٓ﴾ ﴿قٓ﴾ ﴿نٓ﴾ .

ووردت على حرفين مثل سور ﴿طه﴾ ﴿طسٓ﴾ ﴿يسٓ﴾ ﴿حمٓ ١﴾.

ووردت على ثلاثة أحرف مثل سور ﴿الٓمٓ﴾ ﴿الٓرٰ﴾ ﴿طسٓمٓ ١﴾ .

ووردت على أربعة أحرف مثل سور ﴿الٓمٓصٓ﴾ ﴿الٓمٓرٰ﴾.

والحروف المقطعة في أوائل السور المراد بها إظهار إعجاز القرآن وأنه مركب من تلك الحروف وهو يقول للعرب أنتم تعرفون هذه الحروف ولا تقدرون على تأليف كلام منها مثل القرآن .

وجميع سور القرآن المبدوءة بالحروف المقطعة يكون بعد تلك الحروف مباشرةً التنويه بشأن القرآن .

ففي البقرة : ﴿الٓمٓ ١﴾ [البقرة: ١] .

ثم قال : ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: ٢] .

في آل عمران : ﴿الٓمٓ ١﴾ [آل عمران:١] .

ثم قال : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [آل عمران:٢] .

وفي الأعراف : ﴿الٓمٓصٓ ١﴾ [الأعراف:١] .

ثم قال بعدها : ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ [الأعراف:٢] .

وفي يونس : ﴿الٓرٰ﴾ [يونس:١] .

ثم قال : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[يونس:١] .

وفي سورة يوسف : ﴿الٓرۚ﴾[يوسف:١] .

ثم قال : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾[يوسف:١] .

وفي سورة ص قال : ﴿﴾[ص:١] .

ثم قال : ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾[ص:١] .

وفي سورة ق قال : ﴿قٓۚ﴾[ق:١] .

ثم قال : ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾[ق:١] .

وفي سورة طه قال : ﴿طه ١﴾[طه:١] .

ثم قال : ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢﴾[طه:٢] .

وفي سورة يس قال : ﴿يسٓ ١﴾[يس:١] .

ثم قال : ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾[يس:٢] .

وغير ذلك مما ورد في القرآن ، ولم **يخلوا** من هذا النسق إلا سورتان هم سورة مريم والقلم ففي مريم قال عز وجل : ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾[مريم:١] .

ثم قال : ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾[مريم:٢] .

وقال في سورة القلم: ﴿نٓۚ﴾ [القلم:١] .

ثم قال : ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم:١] .

وقد وصف الله عز وجل القرآن الكريم بعدة صفات :

الأولى : كونه قرآنًا يتلى في المحاريب والمجالس والمدارس إلى يوم القيامة فهو محفوظٌ يتلى في كل مكان وفي كل زمان : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[الحجر:٩] .

وسمي القرآن قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها ويجمع الأخبار والأحكام ، ولأن آياته تصدق بعضها بعضًا ، ولأن سوره وآياته يقترن بعضها ببعض ،

ولأن القارئ يقرئه وقتًا بعد وقت : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

الثانية : كون القرآن عربيًا عجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:٨٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[يوسف:٢] .

الثالثة : كونه قيمًا غير ذي عوج فلا اختلاف فيه ولا تناقض : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الزمر:٢٧-٢٨] .

فمن تذكر وتدبر القرآن فهم معانيه ثم أناب إلى ربه واتقاه .

الرابعة : كونه عظيمًا بين الله فيه الأخبار العظيمة والأحكام العظيمة والحياة العظيمة والثواب العظيم والعذاب العظيم : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر:٨٧].

الخامسة : كون القرآن تبيانًا لكل شيء من الأخبار والأحكام والأخلاق والآداب والحق والباطل والفضائل والرذائل والوعد والوعيد والثواب والعقاب ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

السادسة : كونه كريمًا فالقرآن كريم بحسنه وبهائه كريم في ثوابه فالحرف منه بحسنة والحسنة بعشر أمثالها ، وهو كريم في أثاره على القلوب والجوارح يلين القلوب ويسبب الخشوع والطمأنينة حب الله وحسن عبادته وهو كريم في أثاره بدعوة الناس إلى أحسن شريعة .

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩] .

- **الأسئلة في القرآن** :

أنزل الله عز وجل القرآن الكريم تبيانًا لكل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

بين الله في القرآن أحكام التوحيد والإيمان وأحكام العبادات والمعاملات وأحكام الحلال والحرام وفصل فيه الوعد والوعيد والثواب والعقاب .

وأصحاب النبي ﷺ كانوا أعقل الناس فما كان قومٌ أقل سؤالًا من أصحاب محمد ﷺ ففي القرآن أنهم سألوا النبي ﷺ أربعة عشر سؤالًا فقط منها ثمانية في سورة البقرة وهي :

الأول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

الثاني : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾ [البقرة:١٨٩] .

الثالث : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٥] .

الرابع : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌ ﴾[البقرة: ٢١٧] .

الخامس : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[البقرة: ٢١٩] .

السادس : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[البقرة: ٢١٩] .

السابع : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ ﴾[البقر:٢٢٠] .

الثامن : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢٢٢] .

فهذه الأسئلة الثمانية جاءت في سورة البقرة .

التاسع : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ ﴾[المائدة: ٤] .

العاشر :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ ﴾ [الأعراف:١٨٧] .

لحادي عشر : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[الأنفال:١] .

الثاني عشر : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

الثالث عشر : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾[الكهف:٨٣] .

الرابع عشر : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[طه:١٠٥] .

ولهذه الأسئلة ترتيبٌ عجيبٌ في شرح المبدأ والمعاد وغير ذلك مما بينه الله عز وجل للناس ، وكذا ورد في القرآن الكريم افتتاح سورتين من سور القرآن بجملة يا أيها الناس ، في النصف الأول من القرآن في السورة الرابعة وهي سورة النساء ، كما قال الله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١]

والثانية في النصف الثاني في السورة الرابعة منه وهي سورة الحج، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحج:١] .

فسبحان العظيم الذي له في كتابه العظيم أسرار خفية وحكم مطوية لا يعرفها أكثر الخلق ولا يعرفها إلا الخواص من عبيده : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل:٤٣] .

وأحوال المسلمين مع كتاب ربهم

إن المسلمين مع كتاب الله ﷻ: ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الذي أعرض عن كتاب الله لا يقرؤه ولا يتدبره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠] .

القسم الثاني : قسم يقرأ كتاب الله للتلاوة فقط بلا تدبر وفهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: [البقرة: ٧٨] .

القسم الثالث : قسم يقرأ القرآن يحسن تلاوته ويتدبر معانيه ويصدق أحكامه ويصدق أخباره ويطبق أحكامه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا

وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧ -١٨].

فهؤلاء هم ورثة الرسل وخيار هذه الأمة وسادة الناس في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٠] .

فهؤلاء هم أولوا الأبصار والبصائر والألباب : ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

وهؤلاء خير الأقسام الذين يتلون كتاب ربهم ويصدقون أخباره ويطبقون أحكامه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وقد دعا الله القسم الأول والثاني للقراءة والتدبر لكتاب الله ، فقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

فضائل السور

الله عز وجل : هو الحق وكتبه حق ورسله حق ووعده حق ووعيده حق ، والإيمان الحق هو الذي يزرع في قلب العبد هيبة الجبار جل جلاله لما يراه من كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وعظمة ملكه وسلطانه ، ويملأ قلب العبد بحب الرحمن الرحيم لما يراه من إنعامه وإحسانه إلى عباده .

ويتواطأ على ذلك القلب واللسان والجوارح ويظهر ذلك على اللسان قولًا وذكرًا وعلى الجوارح عملًا وأخلاقًا : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

فالله عظيم وكتابه عظيم وسور القرآن عظيمة وآيات القرآن عظيمة .

- **وكلمات الله نوعان :**

١ – كلمات قدرية وهي :

الكلمات التي بها يخلق ويرزق ويرفع ويخسف ويعز ويذل ويحي ويميت : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس:٨٢] .

٢ – كلمات شرعية وهي :

ما أنزل الله على رسله من الكتب والأوامر والنواهي كما قال سبحانه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾

[الأنعام:١١٥].

صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام والكلمات الشرعية كلها صدق في الأخبار وعدل في الأحكام ، فهي خير محض : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام:١١٥].

أما الكلمات القدرية فهي خير في ذاتها لأن الذي فعلها حكيم عليم خبير ، والشرع معها يتعلق بالمخلوقات لا بها ، كما قال سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[الفلق:١-٥] .

فالشر ليس إلى الله عز وجل ففعله ذاته كله خير ورحمة وحكمة وإحسان لا شر فيه أبدًا، وإنما الشر في المخلوقات التي خلقها سبحانه في غاية الحكمة

- **وما خلق الله سبحانه قسمان :**

١- مخلوقات لا شر فيها كالملائكة والأنبياء والرسل والجنة .

٢- ومخلوقات فيها شر وضرر كالهوام والسباع والجن والإنس والشياطين والنار والرياح وغيرها هذه المخلوقات التي فيها خير وشر نستعيذ بالله من شرها .

- **أما فقه سورة الإخلاص :**

فقد خاطب الله نبيه ﷺ بلفظ قل ثلاثمائة وعشرين مرة في القرآن الكريم ، وفي هذا إشارة إلى أن العقيدة والأخبار والأحكام تتلقى من عند الله عز وجل . ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

[الشورى:٥٢-٥٣].

فالأنبياء والرسل وأتباعهم يعرفون الناس بربهم وشرعه بواسطة الوحي المنزل من ربهم : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل: ٤٤] .

والإنسان بفطرته يحتاج إلى كل شيء يحتاج إلى الوالد وإلى الولد وإلى الشبيه وإلى الطعام وإلى الشراب وإلى الهواء : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

فالله هو الغني عن جميع الخلق كلهم وهو الواحد الأحد القادر على كل أحد الغني عن كل أحد السميع لكل أحد البصير بكل أحد العليم بكل أحد الذي يحتاج إليه كل أحد وهو الغني عن كل أحد : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

فقه المعوذتين :

في سورة الفلق استعاذةٌ بالرب من الشر الخارجي:

وهو أربعة أنواع من الشرور ، ولم يذكر الله من أسمائه إلا اسم الرب، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[الفلق:١-٥] .

وفي سورة الناس استعاذة بثلاث أسماء لله عز وجل هي:

(الرب – الملك – الإله) .

من شر واحد هو الشيطان الذي هو الشر الداخلي، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ

ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس: ١ – ٦]

وفي هذا بيان أن الشيطان أخطر عدو فمن آمن بالله فلا يخاف ما سواه : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

فله رب بيده ملكوت كل شيء وله ملك يحميه من كل عدو وله إله يحبه ويسأله ما يريد وقد ذكر الله عز وجل في سورة الناس من أسمائه ثلاثة الرب والملك والإله وكرر سبحانه كلمة الناس ثلاث مرات احتفاءً بالناس بذكرهم في آخر سورة في المصحف ويكرر ذكرهم في نهاية كل آية من هذه السورة خمس مرات، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس: ١ – ٦].

ويشرفهم بإعلامهم أنه ربهم وملكهم وإلههم فليعبدوه وحده لا شريك له وليفروا إليه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

الله يشرف الناس بإعلامهم أنه ربهم وملكهم وإلههم ورب كل شيء وملك كل شيء وإله كل شيء فليطيعوه ويعبدوه ؛ لأنهم هم المتعبدون بالأمر والنهي والطاعة الاختيارية وكل ما سواهم من المخلوقات عدا الجن فإنها مسخرة بأمر ربها .

وكم أشاد الله عز وجل بالناس خلقًا وتكريمًا، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء:٧٠] .

ورفع شأنهم بأن خاطبهم ربهم خطابًا مباشرًا في نص قرآني يتلى إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾[البقرة: ٢١]

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾[الانفطار:٦ -٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [الأعراف:٢٦] .

وغير ذلك من الآيات التي فيها تكريم وتشريف لهذا الإنسان .

فقه نزول القرآن

القرآن نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾[القدر:١] . هذا النزول الأول .

أما النزول الثاني : فهو نزول القرآن مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث ، من القرآن الذي نزل إلى السماء الدنيا : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[الإسراء:١٠٦]

أما الكتب السابقة فنزلت جملةً واحدة كالتوراة والإنجيل، كما نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وأول ما نزل من القرآن على رسولنا محمد ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان نزل به الروح الأمين جبريل ﷺ على محمد ﷺ وعمره أربعون سنة : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة:١٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

والقرآن الكريم كلام الله تعالى الذي أنزله على خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ المبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس ، وعدد سور القرآن الكريم مائة وأربعة عشر سورة ، وقد تكفل الله عز وجل :

بحفظ القرآن الكريم فسلم من التغيير والتبديل ومن الزيادة والنقصان : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] .

وما حاول أحد قديمًا وحديثًا الإساءة إلى القرآن إلا هتك الله تعالى ستره وفضح أمره تحقيقًا، لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

وأول ما نزل من القرآن الآيات الخمس الأول من سورة العلق، كما قال سبحانه : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق:١-٥] .

ثم فتر الوحي مدة ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾[المدثر:١-٥].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ " بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَجُئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي . فَدَثَّرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ » ، متفق عليه[1].

والوحي : هو الإعلام بخفاء والوحي من الله يكون إلى الملائكة كما قال سبحانه : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال:١٢] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٣٨).

ويكون الوحي للرسل، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾[الشورى:٥٢] .

ويكون الوحي كذلك للناس ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[القصص:٧] .

ويكون الوحي للجماد، كما قال سبحانه : ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾[الزلزلة:١-٥] .

فالموحى هو الله ، والموحى إليه هو خلقه ، وقد يكون الوحي من غير الله كما يوحي الشياطين إلى أوليائهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[الأنعام:١٢١] .

أحوال نزول القرآن :

وصف الله القرآن بالكريم في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الواقعة:٧٧-٧٩] .

فهو كريم لحسنه وبهائه وجماله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾[الزمر:٢٣] .

ولأنه كريم في ثوابه فالحرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

وهو كريم في آثاره على القلوب وصلاحها ، فهو ملينٌ للقلوب وسبب للخشوع والطمأنينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

وهو كريم في آثاره بدعوة الناس إلى شريعة الله التي يسعد بها الإنسان في الدنيا والآخرة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد: ٩]

أما أحوال نزول القرآن فينقسم نزول القرآن إلى قسمين :

الأول : ابتدائي وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه ، وهو غالب آيات القرآن الكريم .

الثاني : سببي وهو ما تقدم نزوله سب يقتضيه .

- **وهو على النحو التالي :**

أولاً : إما سؤال يجيب الله عنه، وقد سأل الصحابة في القرآن أربعة عشر سؤالًا.

منها قوله عز وجل : ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾ [البقرة:١٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [طه:١٠٥] .

وغير ذلك من الأسئلة الواردة في القرآن والتي أجاب الله عنها إجابةً شافية كافية .

ثانيًا : أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيان وتحذير مثل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦] .

نزلت في رجل من المنافقين في غزوة تبوك .

ثالثًا : أو فعل واقع يحتاج إلى معرفة حكمه مثل : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة:١] .

- **والقرآن مكي ومدني :**

فالقرآن المكي ما نزل على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة

والقرآن المدني ما نزل على النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة ، وقد نزل القرآن على النبي ﷺ مفرقًا في خلال ثلاث وعشرين سنة ، ثلاثة عشر سنة بمكة وعشر سنين بالمدينة : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[الإسراء:١٠٦]

والفرق بين المكي والمدني :

أولًا : أن القرآن المكي يتميز عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع ، فمن حيث الأسلوب الغالب في المكي : قوة الأسلوب وشدة الخطاب وقصر الآيات وقوة المحاجة ، لأن المخاطبين معارضون مستكبرون

معاندون ، كما في سور المفصل كالطور والمدثر والقمر وغيرها من السور التي هي آخر القرآن .

ثانيًا : الغالب في المدني لين الأسلوب وسهولة الخطاب وطول الآيات وذكر الأحكام مرسلة بدون محاجة ؛ لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون ، كما في المائدة وآية الدين في البقرة .

ثالثًا : من حيث الموضوع الغالب في القرآن المكي تقرير التوحيد والإيمان والأخلاق وأحوال اليوم الآخر لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك .

رابعًا : الغالب في المدني تفصيل العبادات والمعاملات والأحكام لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم الإيمان وهم بحاجة لتفصيل الأحكام ليعملون بها ، وفي القسم المدني أفاض القرآن في ذكر أحكام الجهاد وأحكام المنافقين لاقتضاء الحال ذلك بخلاف المكي حيث لم يشرع الجهاد ولم يظهر النفاق في مكة .

- **أما ترتيب القرآن ، فترتيب القرآن ثلاثة أنواع** :

الأول : ترتيب الكلمات:

بحيث تكون كل كلمة في موضعها في الآية ، وهذا ثابتٌ بالنص والإجماع .

الثاني : ترتيب الآيات:

بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة ، وهو ثابت كذلك بالنص والإجماع .

الثالث : ترتيب السور:

بحيث تكون كل سورة في موضعها في المصحف ، وهذا ثابتٌ بالاجتهاد فلا يكون واجبًا لكن الصحابة اتفقوا في زمن عثمان على ترتيب سور المصحف فيكون مما سنّه الخلفاء الراشدون الذين لهم سنةٌ يجب إتباعها كما قال الرسول ﷺ« فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ » [(١)].

- **كتابة القرآن وجمعه** :

لكتابة القرآن وجمعه ثلاث مراحل :

الأولى : في عهد النبي ﷺ وكان الاعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر من الكتابة لقوة الذاكرة وقلة الكتّاب ، ولذلك لم يجمع في مصحف واحد بل من سمع آية حفظها أو كتبها في ما يتيسر له من عسب النخل ورقاع الجلود ، وكان القراء عددًا كبيرًا .

فعن أنس أن النبي ﷺ: « أَتَاهُ رِعْلٌ وَذَكْوَانُ وَعُصَيَّةُ وَبَنُو لحِيَانَ ، فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا ، وَاسْتَمَدُّوهُ عَلَى قَوْمِهِمْ ، فَأَمَدَّهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَّاءَ ، يحْطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ ، فَانْطَلَقُوا بِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا بِئْرَ مَعُونَةَ غَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ ، فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لحِيَانَ » ، متفق عليه[(٢)].

المرحلة الثانية : في عهد أبي بكر الصديق ﷺ في السنة الثانية عشر من الهجرة لما قتل في وقعة اليمامة عدد كبير من القراء ، فأمر أبو بكر ﷺ بجمع القرآن لئلا يضيع بمشورة من عمر ﷺ ، فقام بجمعه زيد بن ثابت من

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: ٢٨٧١.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٣٠٦٤، واللفظ له، ومسلم برقم: ٦٧٧.

العسب واللخاف وصدور الرجال ، وكانت الصحف عند أبي بكر ﷺ حتى مات ثم عن عمر ﷺ حتى توفاه الله عز وجل ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها .

الثالثة : في عهد عثمان ﷺ في السنة الخامسة والعشرين ، وسببه اختلاف الناس في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي مع الصحابة ، فخاف عثمان الفتنة فأمر أن تجمع الصحف في مصحف واحد لئلا يختلف الناس في كتاب الله عز وجل فأرسل عثمانﷺ إلى حفصة رضي الله عنها فأرسلت إليه الصحف فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في مصحف واحد وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوه وأمر بكل نسخة مما سواها أن تحرق وذلك بمشورة الصحابة .

عن أنس بن مالك ﷺ أن حذيفة بن اليمان حدثه أنه« قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهَّ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ

بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَق » . أخرجه البخاري[1].

والفرق بين جمع أبي بكر الصديق ﷺ وجمع عثمان ﷺ أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر تقييد القرآن كله مجموعًا في مصحف واحد حتى لا يضيع منه شيء دون حمل الناس على مصحف واحد وأما في عهد عثمان رضي الله عنه فجمعه في مصحف واحد وحمل الناس عليه لظهور الأثر المخيف في اختلاف القراءات وهو الباقي بين أيدينا حتى الآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

والقرآن العظيم متعبد بتلاوته ومتعبد بفهمه وتدبره ومتعبد بجهده والعمل به والتعبد لله بجهد الدعوة أعظم العبادات فالتعبد بتلاوة القرآن أجوره محدودة تنتهي بمجرد القراءة وقراءة الحرف من بعشر حسنات والحسنة بعشر أمثالها فالتعبد بتلاوته أجوره محدودة وأهم منها التعبد بفهمه وتدبره لأنه يزيد الإيمان والعمل لمن قرأه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

وأهم منه التعبد بجهده والعمل به ، كما قال سبحانه : ﴿ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٤٩٨٧).

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[الحج:٧٨] .

ومن رزقه الله هذه الجهود كلها فقد نال خيرًا كثيرًا وطابقت حياته حياة نبيه ﷺ على قدر علمه وفقهه : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

فقه تلاوة القرآن

القرآن مكتوب في ثلاثة مواضع في اللوح المحفوظ ، وفي الصحف التي بأيدي الملائكة ، وفي المصاحف التي بأيدي الناس : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

والقرآن الكريم مشتمل على ثلاثة أصول هي :

١- التوحيد .

٢- الإيمان .

٣- الأحكام والقصص .

- **وقصص القرآن تتميز بأمور :**

أولًا : تتميز قصص القرآن بأنها أحسن القصص ، كما قال سبحانه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف:٣] .

ثانيًا : أنها أصدق القصص ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾[النساء:٨٧] .

ثالثًا : أنها أنفع القصص؛ لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف:١١١] .

- **وقصص القرآن ثلاثة أقسام :**

الأول : قسم على الأنبياء والرسل ، وما جرى لهم مع المؤمنين بهم والكفار

الثاني : قسم عن أفراد وطوائف ، جرى لهم ما فيه عبرة ، كقصة مريم ولقمان والذي مر على قرية خاوية على عروشها ، وذو القرنين وقارون وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل والأخدود وغيرهم .

الثالث : قسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ كقصة بدر وأحد والأحزاب وقريظة والنضير وغيرها .

- **وقد قسم الله عز وجل الناس في سورة البقرة إلى ثلاثة أقسام :**

١ - المؤمنون الخلص .

٢-ثم الكافرون الخلص .

٣-ثم المؤمنون بألسنتهم دون قلوبهم وهم المنافقون .

فبدأ سبحانه بذكر الطيب ثم الخبيث ثم الأخبث .

١ - فالطيب هم المتقون المؤمنون ولهم ست صفات، كما قال سبحانه : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:١-٥] .

٢-والخبيث هم الكفار ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾﴾ [البقرة:٦-٧] .

٣- والأخبث هم المنافقون فقلوبهم مختومٌ عليها لا يصدر منها خير ولا يصل إليها خير ، كما قال سبحانه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا

يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة:٨-١٠] .

إلى آخر الآيات .

والذين يتلون كتاب الله حق تلاوته هم الذين يؤمنون به وهو شامل لكل ما أتاهم الله الكتاب فيشمل القرآن والتوراة والإنجيل والزبور ، وغيرها من كتب الله .

- **والتلاوة نوعان :**

الأول : تلاوة حق وهي أن يكون الإنسان تاليًا للفظه ، ومعناه عاملًا بأحكامه مصدقًا لأخباره .

الثانية : تلاوة ناقصة وضد ذلك ، فمن استكبر أو جحد فإنه لم يتله حق تلاوته ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة:١٢١] .

- **والتلاوة تشمل ثلاثة أمور الأول :**

الأولى : التلاوة اللفظية وهي قراءة الكتاب باللفظ الذي جاء به وتجويده .

الثانية : التلاوة المعنوية بأن يفسره على ما أراد الله عز وجل.

الثالثة : تلاوة حكمية وهي تصديق أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهي : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة:١٢١] .

- **عظمة القرآن :**

القرآن العظيم شفاء من جميع الأمراض البدنية والروحية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢] .

فهو شفاء من الأمراض الروحية ؛ لأن الأمراض الروحية نوعان :

١-الاعتقادات الباطلة .

٢-الأخلاق السيئة .

الاعتقادات الباطلة أشدها فسادًا الاعتقادات الفاسدة في الربوبية والألوهية والنبوة والمعاد والقضاء والقدر وغير ذلك مما لا يعلم إلا بالوحي ، والقرآن مشتمل على بيان المذهب الحق وإبطال ما سواه . ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١] .

وأما الأخلاق السيئة من الظلم والكذب والفجور فالقرآن كشف ما فيها من المفاسد وأرشد إلى الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠] .

فثبت بذلك أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحية ، وأما كون القرآن شفاءً من الأمراض البدنية فسماعه تدفع كثيرًا من الأمراض الجسمية بما فيه من ذكر جلال الرب وكبرياءه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين .

وأما كون القرآن رحمة للمؤمنين ، فالنفوس البشرية مريضة بسبب العقائد الباطلة والأخلاق الفاسدة ، والقرآن يخلصها من شبهات الضالين وشهوات المبتلين وهذا هو الشفاء ويرغبها في اكتساب العلوم العالية والأخلاق الفاضلة التي يصل بها الإنسان إلى جوار رب العالمين والملائكة المقربين وهذا هو الرحمة :﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم

بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأنعام: ١٥٥ – ١٥٧]

ولما كانت إزالة المرض مقدمة على السعي في موجبات الصحة بدأ في الآية بذكر الشفاء قبل الرحمة فقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

فالقرآن شفاءٌ ورحمة للمؤمنين وسبب للخسارة والضلال في حق الظالمين وهم المشركون لأن سماع القرآن يزيدهم غيظًا وغضبًا وحسدًا وذلك يدعوهم إلى الأعمال الباطلة والاستكثار منها والدعوة إليها .

وبهذا يكون القرآن سببًا لتزايد هؤلاء المشركين في درجات الخزي والضلال وذلك لشدة تعلقهم بحب الدنيا وشهواتها ، كما قال سبحانه: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[البقرة:٢٦-٢٧] .

فصاحة القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الدعوة وكتاب الهداية وكتاب الشريعة وكتاب الفضائل وكتاب التوحيد وكتاب الإيمان وكتاب العلم : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وفي الترغيب يقول عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٧] .

قال عز وجل : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[الزخرف:٧١] .

وقال في الترهيب : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك:١٦-١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [إبراهيم:١٥] .

وقال في الزجر عن الكفر والمعاصي : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤].

وقال في الوعظ فيما لا مزيد عليه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[التوبة: ٦٨] .

وقال في التوحيد : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

وقال في الأخلاق : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت:٣٣-٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

فالقرآن فيه تبيان كل شيء من أمور التوحيد والإيمان ، وأمور الدنيا والآخرة ، وسمي القرآن قرآنًا لأنه يقرأ ليكون محفوظ في الصدور.

وسمي كتابًا لأنه يكتب في الصدور والسطور .
وسمي فرقانًا لأنه حكم يفرق بين الحق والباطل .
وسمي عزيزًا لأنه أحسن الكلام فلا شيء مثله .
وسمي حكيمًا لأنه يحكم بالحق والعدل .
وسمي كريمًا لأنه كثير الخيرات والبركات .
وسمي حكما لأنه محكم الأخبار والأحكام .
وسمي عظيمًا لأنه أعظم الكتب السماوية وأفضلها وأحسنها

- **وقد تحدي الله العرب بالقرآن من وجوه :**

أحدها : كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[القصص:٤٩] . فلم يستطيعوا .
ثانيًا : ثم تحدي الإنس والجن معًا أن يأتوا بمثله فقال سبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:٨٨] .
ثالثًا : ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾[هود:١٣] . ولم يستطيعوا .
رابعًا : ثم تحداهم أن يأتون بسورة من مثله كما قال سبحانه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[البقرة:٢٣] . فلم يستطيعوا .
خامسًا : عندما تحداهم أن يأتوا بحديث مثله ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الطور:٣٤] . فلم يستطيعوا .
فالله عز وجل هو الحق وكتابه هو الحق ودينه هو الحق .

- **وقد بين الله في سورة الفاتحة الناس ثلاث طوائف :**

الأولى : المؤمنون الخلص المنعم عليهم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لأجل العمل به وعملوا بموجب تلك المعرفة ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة : ٢-٧] .

والثانية : الذين أخلوا بالأعمال الصالحة وهم الفسقة الذين خرجوا من الأعمال الصالحة إلى الأعمال الفاسدة فغضب الله عليهم ، وفي مقدمتهم اليهود ومن سار على طريقهم، فقال سبحانه : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٧] .

الثالثة : الذين أخلوا بالاعتقادات الصحيحة وهم أهل الكفر والبدع وفي مقدمتهم النصارى ومن تابعهم وإليهم إشارة بقوله سبحانه : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة : ٧] .

وأهم المهمات لكل عبد أن يستنير قلبه بمعرفة عزة الربوبية ، ثم بمعرفة واجب وذلة العبودية ؛ لأن الله خلق الخلق لعبادته ورعاية هذا العهد ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

أقسام القرآن الكريم

القرآن محكم ومتشابه

أولاً: القرآن العظيم محكم ومتشابه فقد دل القرآن أنه كله محكم، ودل على أنه كله متشابه ، ودل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه ، فالقرآن كله محكم الألفاظ والمعاني والفصاحة والأحكام والأخبار : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[هود:١] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [فصلت:٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[يونس:١] .

فالقرآن الكريم أفضل الكلام وأحسنه فلا يمكن لأحد الإتيان بمثله أو بسورة من مثله : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾[الإسراء:٨٨] .

ثانيًا : والقرآن كله متشابه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والكمال والأحكام والأخبار يصدق بعضه بعضًا ويفسر بعضه بعضا ، كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣﴾[الزمر:٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾[النساء:٨٢].

ثالثًا : والقرآن بعضه محكم وبعضه متشابه ، فالحكيم هو الذي يمنع عما لا ينبغي ، والمتشابه أن يكون أحد الشيئين مشابهًا للأخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ، فكل ما يهتدي الإنسان إلى معرفته فهو محكم وكل مالا يهتدي إليه الإنسان فهو مشكل ومتشابه:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧] .

وكل ما أمكن تحصيل العلم به كالتوحيد والإيمان وطاعة الله ورسوله ونحو ذلك فهو من المحكم ، وكل ما لا سبيل إلى معرفته فهو من المتشابه كأعداد الصلوات ومعرفة الروح والعلم بوقت قيام الساعة والألفاظ المحتملة لأكثر من وجه كلفظ القرء والعلم بمقادير الثواب والعقاب ، ونحو ذلك فأهل الزيغ يتمسكون بالمتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ويحتجون لباطلهم بهذا المتشابه وكل ما فيه لبس واشتباه ، وذلك لما في قلوبهم من الزيغ عن الحق وطلب تقرير الباطل وأما أهل الحق فهم الراسخون في العلم الذين يعملون بمحكم القرآن ويؤمنون بمتشابهة ويردون المتشابه إلى المحكم والكل من عند الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧] .

وتفسير القرآن على أربعة أوجه :

تفسير لا يعلمه إلا الله

وتفسير لا يسع أحدًا جهله

وتفسير تعرفه العرب بألسنتها

وتفسير يعلمه العلماء

وأهل الزيغ هم الذين يتبعون متشابه القرآن لتقرير مذهبهم الباطل وصرف الناس عن الحق بنقضه وتشكيك الناس به وقصدهم من ذلك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل القرآن فالفتنة أنهم يثيرون المتشابهات في الدين ليسير الناس بعضهم مخالف لبعض وذلك يفضي إلى الهرج والمرج والقتل والتناحر وذلك أعظم فتنة .

والتمسك بالمتشابه والإعراض عن المحكم يزرع الباطل مكان الحق والبدعة مكان السنة فيصير الإنسان مفتونًا بذلك الباطل والفتنة في الدين هي الضلال عن الهدى ولا فتنة أعظم من الفتنة في الدين : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وأما غرضهم الثاني : فهو تأويل القرآن حسب هوائهم مما ليس في القرآن والسنة دليل عليه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران:٧] .

أما الراسخون في العلم فهم الذين يعملون بمحكم القرآن ويؤمنون بمتشابهة ويردون المتشابه إلى المحكم ويقولون :﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران:٧- ٨]

- **السبع المثاني :**

القرآن العظيم نور أضاء الله به كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥]

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[التغابن:٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وكل من لا يعلم أن القرآن نور وأنه حق فإن ذلك إنما جاءه من قبل عماه لأن لأنه خفاش أعمى والأعمى لا يرى الشمس لعماه، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

والكفار جاهدون لإطفاء هذا النور العظيم بأفواههم بتكذيبهم وقولهم إنه شعر أو سحر أو كهانة أو أساطير الأولين : ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[التوبة:٣٢] .

لأنه نور عظيم لا يطفئه نفخ مخلوق ضعيف، كما قال سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة:٣٢-٣٣] .

فهم جاهدون لإطفاء نور القرآن والله متم نوره : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾[الفرقان:٥] .

ولا يعرض عن النور إلى الظلام وعن الحق إلى الباطل إلا من أعمى الله بصره وبصيرته ومن أعمى الله بصيرته فلا حيلة له : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[النور:٤٠] .

والسبع المثاني والقرآن العظيم هي فاتحة الكتاب ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحجر:٨٧].

وليس المقصود بها السبع الطوال لأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة وآية الحجر التي نصت عليها مكية وهو قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحجر:٨٧].

والنبي ﷺ نص على ذلك عن أَبي سَعِيدٍ رَافِعِ بن المُعَلَى ﷺ قال: « قُلتُ: يَا رَسُولَ الله، إنّكَ قُلتَ: أَلا أُعَلِمُكَ أعظَمَ سُورَةٍ في القُرْآن قَالَ: الحَمدُ لله رَبِّ العَالمِينَ، هِيَ السّبعُ المَثَاني وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَذِي أُوتِيتُه» . أخرجه البخاري[1] .

والقرآن العظيم أعظم النبأ فالنبأ هو الخبر الذي له خطب وشأن فالنبأ أخص من مطلق الخبر فكل نبأ خبر وليس كل خبر نبأ وأعظم النبأ هو القرآن العظيم الذي نبأ به محمد صلى الله عليه وسلم هذه الأمة بما أنزل عليه من ربه عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾[ص:٦٧-٦٨] .

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٤٤٧٤).

والقرآن العظيم بين الله فيه أخبار الأمم الماضية والأخبار الحاضرة والأخبار المستقبلية : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

والله عز وجل عالم الغيب والشهادة : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢] .

وعلم الغيب مختص بالله وحده ، يطلع من شاء من خلقه على ما شاء من وحيه : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النمل:٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود:١٢٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم:٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩] .

- **أنواع الوحي**

وحي الله إلى خلقه أنواع :

الأول : وحي الرسالة، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾[النساء:١٦٣] .

الثاني : وحي إلهام بأن يلقي الله الأمر في روع الإنسان، كما قال سبحانه عن أم موسى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى

ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص:٧] .

الثالث : وحي الغريزة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [النحل:٦٨] .

الرابع : وحي أمر كما قال سبحانه : ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ [الزلزلة:١-٥] .

وقد امتن الله عز وجل على هذه الأمة بأن أرسل إليها أفضل رسول وأنزل عليها أحسن كتاب: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

والقرآن العظيم كله محكمٌ في غاية الإحكام والإتقان في ألفاظه ومعانيه أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل، كما قال سبحانه : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود:١] .

والقرآن كله متشابه يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق والإعجاز ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر:٢٣] .

ومعنى كونه بعضه محكمًا وبعضه متشابهًا ، أن المحكم منه ما هو واضح المعنى لكل الناس، كقوله سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ [النساء:٣٦] .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[البقرة:٢٧٥] .
وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[الإسراء:٣٢] .
والمتشابه ما خفي علمه على غير الراسخين في العلم أو هو ما استأثر الله بعلمه كالحروف المقطعة في أوائل السور ﴿الٓمٓ﴾﴿الٓرٰ﴾﴿طسٓمٓ ﴿١﴾﴾ ﴿الٓمٓصٓ﴾﴿كٓهيعٓصٓ﴾. ونحوها .
فمحكم القرآن هو النص الواضح الصريح الذي لا تختلف فيه الأفهام والمتشابه هو النص المحتمل الذي تختلف فيه الأفهام ، فالمتشابه يرد إلى المحكم والمحكم يرد في الأوامر التكليفية كقطع يد السارق ووجوب الصلاة والزكاة وتحريم الربا والزنا ، ونحو ذلك مما هو مطلوب من الخلق الفعل والترك الذي يترتب عليه الثواب أو العقاب .
والمتشابه ما اشتبه على الإنسان فلم يعرفه والعقل كالبصر يرى أشياء ولا يرى أشياء ، وكالسمع يسمع أشياء ولا يسمع أشياء ، وكذلك العقل يدرك أشياء وهي المحكم ولا يدرك أشياء وهي المتشابه ؛ ليعلم عجزه وضعفه عن إدراك كل شيء وليلزم الإنسان الأدب مع ربه ويحرك عقله فيما يفهم ويرد كل متشابه إلى المحكم مثل الحروف المقطعة في أوائل السور ، ومثل استواء الله على العرش ونزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا ، فالمحكم نعمل به والمتشابه نؤمن به ونرده إلى المحكم :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران:٧] .

والقرآن العظيم يضل الله به كثيرًا ويهدي به كثيرًا : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾[البقرة:٢٦-٢٧] .

فالقرآن العظيم سمعه أبو بكر الصديق فصار صديق هذه الأمة، وسمعه عمر بن الخطاب فصار فاروق هذه الأمة، وسمعه أبو عبيدة بن الجراح فصار أمين هذه الأمة، وسمعه أبو جهل المخزومي فصار فرعون هذه الأمة، وسمعه أبو لهب الهاشمي فصار ضد هذه الأمة وعدو هذه الأمة، وسمعه مسيلمة فصار كذاب هذه الأمة وسمعه بن أبي فصار سيد منافقي هذه الأمة ، والمعول عل أطعنا لا على سمعنا ، فالكفار قالوا سمعنا وعصينا والمؤمنون قالوا سمعنا وأطعنا: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[البقرة:٢٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦ ﴾[النور:٤٦] .

فهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾[البقرة:٢٦] .

معجزات القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو المعجزة العظمى الباقية على مر الدهور إلى قيام الساعة .

عن أبي هريرة رضي الله عنها ن رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلا أُعْطِيَ من الآياتِ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَة » . متفق عليه(١) .

والقرآن العظيم كتاب عظيم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر:٨٧].

والقرآن العظيم معجز من وجوه :

الأول : الإعجاز البياني والبلاغي.

فقد تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو عشر سور مثله أو سورة من مثله أو حديث من مثله ، فلم يستطيعوا في الماضي ولن يستطيعوا في المستقبل، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[البقرة:٢٣-٢٤] .

الثاني : الإخبار بالغيوب.

فقد أخبر الله في القرآن الكريم عن غيوب كثيرة في الماضي والحاضر والمستقبل وكلها وقعت وستقع ولا يعلم ذلك إلا علام الغيوب وحده لا

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٤٩٨١).

شريك له : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة:٦-٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

الثالث : الإعجاز التشريعي.

فقد جاء القرآن العظيم بأعظم الأحكام التي يسعد بها الناس في الدنيا والآخرة مما يجلب المصالح ويدرأ المفاسد والترغيب في مكارم الأخلاق ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإسراء:٩-١٠] .

الرابع : الإعجاز العلمي.

فقد اكتشف العلم الحديث كثيرًا من الآيات في الأنفس والأفاق مما يدل على أن القرآن كلام الله حقًا ، كما قال سبحانه : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت:٥٣] .

والقرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان وكتاب الدعوة إلى الله وكتاب الهداية إلى الحق وكتاب العلم والأحكام وكتاب الأجر والثواب ، وأكثر الخلق يقرؤونه لتحصيل الأجر ويغفلون عن أعظم مقاصده .

والقرآن الكريم متعبد بتلاوته ومتعبد بتدبره ومتعبد بالعمل به ، فيجب على كل مسلم الإيمان به والعمل بأحكامه والتأدب بآدابه ولا يقبل الله العمل

بغيره بعد نزوله تكفل الله بحفظه فسلم من التحريف والتبديل ومن الزيادة والنقصان : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

- **ودلالة آيات القرآن الكريم آيات القرآن فيها تبيان لكل شيء وهي :**

إما خبر .. أو طلب .

- **والخبر قسمان :**

١- إما خبر عن الخالق سبحانه : وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله وهو الله عز وجل .

٢- وإما خبر عن المخلوق السماوات والأرض والعرش والكرسي والإنسان والحيوان والجماد والنبات والجنة والنار وأخبار الأنبياء والرسل وأتباعهم وأعدائهم وجزاء كل فريق ونحو ذلك من أخبار القرآن . وهذه الأخبار تزيد الإيمان في القلب وتدفع المسلم لحب الله عز وجل وتعظيمه والعمل بشرعه .

- **والطلب قسمان :**

١-إما أمر بعبادة الله وحده وطاعة الله ورسوله وفعل ما أمر الله به كالصلاة والصيام ونحوهما .

٢-وإما نهي عن الشرك بالله وتحرير مما حرم الله، كالربا والزنا والفواحش وغير ذلك مما نهى الله عنه فأعظم الأخبار معرفة الله عز وجل وأعظم الأوامر العلم بلا إله إلا الله وأعظم المناهي النهي عن الكفر والشرك وأعظم الأدعية: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾[الفاتحة : ٦] .

فلله الحمد والشكر وله المنة والفضل حيث أرسل إلينا أفضل رسله وأنزل علينا أحسن كتبه وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾[الزمر:٢٣] .

أنواع قراءة القرآن

الله عز وجل امتن على آدم بنعم كثيرة ، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] .

فالله عز وجل خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم فطرة وامتن على الرسول ﷺ بقوله : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء:١١٣] .

فالله خلق الإنسان وأمره أن يتعلم عن طريق القراءة ، فقال سبحانه في أول آيات نزلت على نبينا محمد ﷺ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق:١-٥] .

وقراءة الإنسان أربعة أنواع :

القراءة الأولى : قراءة البحث والإيمان

اقرأ أيها الإنسان الآيات القرآنية والآيات الكونية من أجل أن تؤمن بالله وتعلم ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الحميدة والمثل الأعلى ، وأول ما تبدأ به نفسك منذ كنت علقة إلى أن أصبحت إنسانًا كاملًا سويًا : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾[العلق:١-٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦ -٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢]

فهذه القراءة تملأ القلب بالإيمان وتحرك اللسان بالتعظيم والتكبير لله والحمد والشكر له وحسن التعبد بالجوارح : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

فهذه القراءة الأولى .

الثانية : قراءة الشكر والعرفان

اقرأ أيها الإنسان لتعرف ربك الكريم ، الرزاق المنعم بكل نعمة لتعرف نعمه الكبرى عليك وعلى غيرك ، وهي نعمة الخلق والإيجاد ونعمة القوت والإمداد ونعمة الهداية والرشاد ، وإذا عرفت الكريم الرحمن الرحيم الرزاق وجب عليك أن تحبه وأن تشكره :﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق:٣-٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤]

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧] .

فهذه القراءة الثانية تعرفك بربك الكريم الغني الذي كل نعمة منه في الدنيا والآخرة والذي شملت وعمت نعمه ورحمته كل مخلوق : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر:٧] .

فمن قرأ هذه القراءة عرف ربه الكريم وعرف عظيم نعمه وإحسانه إليه ، في خلقه وفي تدبيره وفي نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين:٤-٦] .

القراءة الثالثة : قراءة الوحي والإذعان

فكل شيءٍ عجز العقل عن إدراكه من أمور الغيب علمنا الله به فعلمنا عن ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وكما قدرته وعظمة ملكه وسلطانه وأخبرنا عن الجنة وما فيها من النعيم وعن النار وما فيها من العذاب : ﴿ ۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة:٦-٧] .

فعلى الإنسان أن يذعن للوحي ويسلم لما جاء فيه ويصدق به ، فعلم الإنسان محدود موهوب ، وعلم الله ذاتي مطلق فهو سبحانه العليم الذي علم الإنسان ما لم يعلم ﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن:١-٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه: ١١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

فهذه القراءة تزيد الإنسان علمًا لأنه يضيف إلى عالم الشهادة من عالم الغيب ما أعلمه الله به في كتابه وسنة رسوله ﷺ من أمور الغيب التي لا يعلمها ، فهذه القراءات الثلاث قراءة البحث والإيمان وقراءة الشكر والعرفان وقراءة الوحي والإذعان ، كلها محمودة وكلها مأمور بها وكلها تزيد الإيمان وكلها تحرك اللسان بالذكر والدعاء والحمد والشكر وتحرك الجوارح بأنواع العبادة والطاعة :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

القراءة الرابعة : قراءة العدوان والطغيان

وهي كل قراءة تسبب الفساد والخسران ، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[العلق:٦-٧] .

وهذه قراءة مذمومة منهي عنها فكل قراءة فيما يفسد البشرية ويدمر الحياة والأحياء ويشيع الفساد والعري ويبيح أكل أموال الناس بالباطل كل ذلك من العدوان والطغيان بالعلم الذي يهلك الحرث والنسل وهذه طريقة الكفار الذين ينشرون محاسن الدنيا وشهواتها ويحاربون الحق ويأكل القوي منهم الضعيف ويستعبد الكبير منهم الصغير :﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ

وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم:٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم:٦-٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يونس:٧-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة:٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧] .

- **صفات تدبر القرآن الكريم**

لا بد لقارئ القرآن الكريم ليزيد إيمانه ، وينتفع بقراءته من صفات يتلقى كلام ربه ، وهذه الصفات هي :

الأولى : أن يتيقن على كتاب الله الكريم أنه حقٌ لا شك فيه

فيتلقى أخباره بالتصديق الكامل ، ويقبل على العمل بها بقلبه ، ولسانه ، وجوارحه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة:٢] .

الثانية : أن يتيقن أنه كتاب عظيمٌ باقٍ محفوظ إلى يوم القيامة

فلا يزاد فيه حرف ، ولا ينقص منه حرف ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] .

وقال عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت:٤١-٤٢] .

الثالثة : أن يتيقن المسلم قبل قراءة القرآن أنه بدون القرآن لا قيمة ، وأنه متعرض بتركه للشقاء في الدنيا والآخرة : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأنبياء:١٠] .

وقال عز وجل : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[البقرة: ٣٨-٣٩] .

الرابعة : أن يتيقن العبد أنه مع القرآن حي ، وبدونه ميت ، وأنه بالقرآن مبصر ، وبدونه أعمى ، وأنه بالقرآن مهتدي ، وبدونه ضال ، فمن أراد أن يستفيد وينتفع بالقرآن العظيم ؛ فليكن عنده هذا اليقين على كتاب ربه قبل قراءة آياته وسوره :﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

فالقرآن العظيم هو الروح ، وبدونه الإنسان ميت : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[الشورى:٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام:١٢٢] .

والقرآن الكريم هو النور ، والإنسان بدونه أعمى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾[النساء:١٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد: ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

والقرآن الحكيم هو الهدى ، والإنسان بدونه ضال : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يونس: ١٠٨] .

ولهذا وصف الله المعرضين عن القرآن بالذم والنقص والجهل ، فقال سبحانه : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١] .

فشبه المعرض عن القرآن بالحمير الهائجة الخائفة المذعورة ممن يخيفها ، وأنكر عليهم عدم الإيمان به : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾ [الانشقاق:٢٠-٢١] .

الخامسة : أن يتيقن قارئ القرآن أنه هو المخاطب بالقرآن ، فيصدق أخباره ، ويطبق أحكامه ، ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، ويتخلق بأخلاقه ، ويعبد ربه بموجب ذلك إلى أن يلقى ربه : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦١- ١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

السادسة : أن يتيقن قارئ القرآن أن خطاب القرآن كله موجه إلى القلب ، فالقلب هو الأصل ، والجوارح كلها فرع عليه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

وقال النبي ﷺ: « أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه[1] .

فالقلوب أوعية إذا امتلأت بنور الإيمان واليقين ؛ أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح ، وإذا امتلأت بظلمة الباطل والكفر ؛ أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

فالقلب هو المخاطب بالقرآن ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[البقرة: ٩٧] .

وأصل الدين : هو الأمور الباطنة من الإيمان ، ومن العلوم والأعمال ، والأعمال الظاهرة تبع له ، ولا تنفع بدونه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

القلب هو المخاطب بالقرآن ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

فأصل الإيمان والتوحيد في القلب والأعمال الظاهرة تبعٌ له ولا تنفع بدونه ، ولهذا نرى كثرة تكرار لفظ القلب في القرآن الكريم ، وأسند الله إليه في آيات كثيرة ما لم يسند إلى غيره من الجوارح ، أكثر من أربعين وصفًا أسندها القرآن إلى القلب ، المقصود حياة القلب ، وحياة القلب بالقرآن فقط وموت القلب بالأعراض عن القرآن ، ومن مات قلبه ماتت جوارحه فخسر دنياه وآخرته ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

وأهم الصفات التي يحبها الله ، ويحب امتلاء القلوب بها وأسندها الله في القرآن إلى القلب هي :

أولًا : الهداية : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١] .

ثانيًا : التقوى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج:٣٢] .

ثالثًا : الخشوع : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[الحديد:١٦] .

رابعًا : الألفة : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[الأنفال: ٦٣] .

خامسًا : الرأفة والرحمة : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد: ٢٧] .

سادسًا : الوجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢] .

سابعًا : الإخبات : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[الحج:٥٤] .

ثامنًا : الطمأنينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

تاسعًا : الانشراح : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٢٢] .

عاشرًا : الربط ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنفال:١١] .

الحادي عشر : السكينة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤] .

الثاني عشر : تزيين الإيمان : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات:٧] .

الثالث عشر : الإنابة : ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق:٣٣]

الرابع عشر : الكسب : ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٥] .

الخامس عشر : الذكرى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق:٣٧] .

السادس عشر : العقل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ ﴾ [الحج:٤٦]

السابع عشر : السلامة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٩] .

فهذه أهم الصفات التي يحبها الله ويحب امتلاء قلوب عباده بها .

أما الصفات التي يتصف بها القلب الجاحد القاسي ، والتي يكرهها الله ويحذر عباده منها ، فمنها :

أولًا : العمى ، كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج:٤٦]

ثانيًا : الختم ، كما قال سبحانه : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: ٧]

ثالثًا : الران ، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين : ١٤] .

رابعًا : الغفلة : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

خامسًا : التقلب : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٠] .

سادسًا : الزيغ : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥] .

سابعًا : الرعب : ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ [آل عمران:١٥١] .

ثامنًا : المرض ، كما قال سبحانه : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠] .

تاسعًا : الاشمئزاز ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥]

عاشرًا : ضعف الإيمان : ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [الحجرات: ١٤] .

الحادي عشر : القفل ، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

الثاني عشر : الكبر : ﴿ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ ﴾ [غافر:٥٦] .

الثالث عشر : الكفر : ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾[النحل:١٠٦] .

الرابع عشر : الغل : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الحجر:٤٧] .

الخامس عشر : اللهو : ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[الأنبياء: ٣] .

السادس عشر : القسوة ، كما قال الله سبحانه : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة: ٧٤] .

السابع عشر : النفاق : ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾[التوبة: ٧٧] .

الثامن عشر : الغيظ ، كما قال سبحانه : ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[التوبة: ١٥] .

التاسع عشر : الريب : ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[التوبة: ٤٥] .

العشرون : الطبع ، كما قال سبحانه : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾[غافر: ٣٥] .

الحادي والعشرون : الوسوسة ، كما قال سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١ – ٦]

الثاني والعشرون : الحسرة ، كما قال سبحانه : ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾[آل عمران: ١٥٦] .

الثالث والعشرون : عدم الفقه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٩] .

فهذه أربعون صفة للقلوب منها ما هو ممدوحً محمود ، ومنها ما هو مذموم .

نسأل الله عز وجل أن يملأ قلوبنا بما يحب من تلك الصفات العظيمة ، وأن يطهرها من الأخلاق والصفات الذميمة .

فقه تدبر القرآن الكريم

من قرأ القرآن وتدبره علم أن سعادته في الدنيا والآخرة بتصديق أخباره وتطبيق أحكامه ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء:٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٠] .

- **والقرآن له ظاهر وباطن :**

فظاهره : يراه كل الناس من مسلم وكافر ، وهو صور الحروف والكلمات والآيات والسور : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: [البقرة: ٧٨] .

أما باطن القرآن : فلا يراه إلا من امن به وأمن بالذي أنزله وامن بأنه حق أنزله الحق لهداية الناس وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، فأمسك به وتدبر معانيه واستفاد من كنوزه ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

والقرآن العظيم مثل البحر العظيم ، له ظاهرٌ سطح البحر وله باطن مملوء بالأرزاق والخيرات والبركات العظيمة ، فمن سبح على ظهر البحر ممن المحيط إلى المحيط يبغي التجارة ، فلن يجدها ولو أمضى العمر كله حتى يغوص في باطن البحر ، ويستخرج منه اللؤلؤ والمرجان وأنواع الأسماك وأنواع الخيرات ، فهذه سنة الله في بحر مخلوق ، فكم من النعم والخير

والبركات في كلام الخالق إذا تدبرناه وعقلناه ! :﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأنبياء:١٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

وفهم القرآن وتدبره والعمل بما به هبة من الكريم الوهاب يكرم بها من صدق الله في طلبها ، وسلك الأسباب الموصلة إليها بجد واجتهاد ابتغاء مرضات الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[البقرة: ٦٣] .

فإن أردت أن تدخل في رحمة الله ، وتسلك الصراط المستقيم فجاهد نفسك وتحمل المشاق واصبر على ما أصابك في سبيل تدبر القرآن الكريم ؛ لتنال ما يسعدك في الدنيا والآخرة ، فالقرآن حبل الله المتين طرفه بيد الله وطرفه الأخر بيدك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [النساء: ١٧٤ – ١٧٥]

إن المكارم لا تنال إلا بالمكاره ، والجنة حفت بالمكاره ، والنار حفت بالشهوات ، فلابد من المجاهدة والجهد لتحصيل تلك البركات والخيرات من كتاب ربنا العظيم :﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

﴿ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣]

ولا ريب أن إصلاح النفوس وتزكية القلوب والسلامة من الأضرار والفتن ، لا يكون أبدًا إلا بالعلم الإلهي ، ووسيلة ذلك القراءة للوحي من الكتاب والسنة ، ولهذا لما أراد الله هداية عباده وإخراجهم من الظلمات إلى النور أنزل عليهم كتابًا يقرأ ، فأول سورة نزلت منه تأمر بالقراءة ، التي هي مفتاح العلم والصلاح والإصلاح إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [العلق:١-٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[الشمس: ٧-١٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩ ﴾[محمد: ١٩] .

ولكي نهتدي لابد أن نجلس في مجالس الهداية والذكر والإيمان ، ولكلي نستقيم على أمر الله لابد أن ننقطع عن مجالس الغفلة : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨ ﴾[الكهف:٢٨]

وقال الله عز وجل :﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

وبتدبر القرآن الكريم نعلم أن آدم ﷺ إنما وقع في المعصية لأمرين :

الأول : النسيان .

والثاني : ضعف العزيمة .

وعلاج النسيان بالإكثار من ذكر الله الذي يزيد الإيمان ، ويرغب الإنسان في الطاعة ، ويعزه عن المعصية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾[طه:١١٥] .

فعلاج ضعف العزيمة يكون بلزوم بيئة الإيمان والعبادة والدعوة التي بها يقوى إيمان العبد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

ومدارسة القرآن تزيد من إيمان العبد وترفع مقامة عند ربه ، ولهذا كان جبريل ﷺ ينزل ليدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان كل ليله .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ أجود الناس وَكَانَ أجود مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْانَ ، فَلَرَسُولُ اللهَّ ﷺ أجود بِالخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ ».أخرجه البخاري[1] .

إذا تدبرنا القرآن العظيم علمنا يقينًا أنه كتابُ عظيم وكتابُ كريم وكتابُ حكيم ، فهو مفتاح العلوم العلمية والعملية الدينية والدنيوية ، وهو سبيل السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنبياء:١٠] .

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٩٠٢).

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر:٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الحشر: ٢١] .

- **وكل إنسان يتأثر إذا تمت له ثلاثة أمور :**

المؤثر .. والمتأثر .. والموصل .

فالمؤثر هو القرآن الكريم ، فأثره ثابتٌ لا شك فيه ، والموصل هو القراءة والتدبر ، والمتأثر هو قلب القارئ المتلقي ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾[الإسراء:٩] .

وتدبر القرآن وفهمه أسبابُ أمرنا الله بها ، والنتائج بيد الله يعطيها من يشاء ويمنعها من يشاء وهو الحكيم العليم : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ﴾[آل عمران:٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة:٤] .

ومفاتيح تدبر القرآن كثيرة وأحسنها وأقواها أثرًا في صلاة الليل ، كما قال سبحانه : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء: ٧٨- ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥- ١٧] .

والقرآن العظيم نعمة لا يعلوها نعمة ، كل نعمة يتبعها نعيم وتنعم لمن عرفها حقًا ، فما أعظم السعادة واللذة بتلاوة القرآن وسماعه : ﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الطور: ٢٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ ﴾[القلم: ٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[المائدة:٣] .

والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ، إن شاء فتحها وإن شاء أقفلها ، وهو العليم الحكيم : ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر:٢] .

وفتح القلب له أسباب أعظمها :

١ -دوام التضرع إلى الله .

٢ -ومعرفة عظمة القرآن .

٣- ومعرفة الأهداف من قراءة القرآن .

- **والمقاصد الأساسية الكبرى لتدبر القرآن خمسة :**

الأول : العلم بالله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الكبرى ، ومثله الأعلى ، والعلم بدينه وشرعه ، والعلم بثوابه وعقابه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢] .

الثاني : العمل لتصديق أخبار القرآن ، وتطبيق أحكامه في كل حال : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

الثالث : حسن عبادة الله ، ومناجاته ، والإكثار من ذكره ، وحمده ، واستغفاره ، والانكسار بين يديه ، ولزوم طاعته ، والافتقار إليه في كل حال : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١- ١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

رابعًا : طلب السعادة والشفاء من الأمراض البدنية والقلبية ، ومعرفة سبل الهداية والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون:١-٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:١-٤] .

وقال الله تعالى :﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ ﴾ [فصلت:٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢] .

خامسًا : الحصول على عظيم الثواب بقراءة القرآن ، وتدبره ، والعمل به ، وإبلاغه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] .

فالله عز وجل عظيم كريم ، والعظيم لا يعطى إلا العظيم ، والله يعطي على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة إلى أضعاف مضاعفة ، حتى يقول جل جلاله : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

المقصود من تدبر القرآن الكريم العمل به اعتقادًا وأقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا .

أصول تدبر القرآن الكريم يجمعها عشرة أصول من استكملها حصل له الفهم والفقه والعلم والعمل ، فزاد إيمانه وحسنت أقواله وصلحت أعماله وزانت أخلاقه وعظم ثواب : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

وهذه هي أصول تدبر القرآن الكريم ، رزقنا الله وإياكم إياها ، وحسن التعبد لله بها :

الأول : حضور القلب

فالقلب هو آلة فهم القرآن ، والعمل به وحب القرآن هو المفتاح الأول للتدبر ، والقلب بيد الله ، فالقلب إذا أحب الله أحب كتابه وأفتقر إلى ربه وسأله أن يفتح قلبه للقرآن ليطلع على أسراره وخزائنه وكنوزه وبركاته: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢].

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

الثاني : استحضار أهداف قراءة القرآن

فالقرآن بحر العلوم جمع الله فيه كل ما يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة .

الثالث : ترتيل القرآن والترسل في القراءة وعدم العجلة

لأن المقصود التدبر والفهم لا الكم والكثرة :﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٤].

وقال الله عز وجل :﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه: ١١٤] .

الرابع : الجهر بقراءة القرآن

ليكون التأثير هو التوصيل من جهتين الصوت باللسان والسمع بالأذن :﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٤] .

الخامس : التكرار للآيات وترديدها ، لأن القلب يتأثر كلما سمع ، وكلما تكرر تقرر .

السادس : أن تكون القراءة حفظًا ، ليحصل التركيز والتدبر وخشوع القلب .

السابع : أن يكرر ما يقرأه من القرآن كل أسبوع ، ولو لجزء منه لئلا ينساه .

الثامن : أن تكون القراءة في صلاة ، فمن أحب أن يكلم الله فليدخل في الصلاة ، ومن أحب أن يكلمه الله فليقرأ القرآن .

التاسع : أن تكون القراءة والصلاة في الليل خاصة في جوف الليل ، لأنه وقت الصفاء والتركيز: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء:٧٩] .

العاشر : ربط الآيات بما يجري في الحياة من تقلبات وأحداث ، فالقرآن أخبر بما كان ، وما يكون ، وما سيكون :﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[القمر: ٤٩ - ٥٣]

ومن فتح الله له هذه الأبواب العظيمة فقد أدخله الله جنة المعرفة في الدنيا ، ومن أدخله الله جنة المعرفة في الدنيا أدخله جنة الآخرة يوم القيامة :﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾[الانفطار:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك:١٢] .

وتدبر القرآن هو التفكر والتأمل في آيات القرآن من أجل فهمه وأدراك معانيه للوصول إلى معرفة مقاصده وأحكامه من أجل العمل به والتعبد به قلبًا وقالبًا ، وإنما جمع القرآن من سمع له وأطاع :﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٤] .

وتدبر القرآن أعظم عبادة والعمل به عبادة أعظم ، وتدبره أيسر شيء ، القرآن العظيم كتاب هدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، وكتاب تربية وتعليم ، وكتاب هداية وبصائر ، يسر الله فهمه وتدبره لكل الناس ، والناس

درجات من الفهم والتدبر والعلم والعمل :﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[القمر: ١٧]

وقال الله عز وجل :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر:٢٣] .

والله عز وجل أخبر في القرآن أن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين ، فقال سبحانه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[النور: ٢١] .

ومن أعظم مكائد الشيطان ومصائده ، تخويفه وتنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعمله إن الهدى والاستقامة واقعٌ عند التدبر ، فيكف أكثر الناس عن تدبر القرآن تورعًا ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران:١٧٥] .

ولقد أطاعه أكثر الخلق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ:٢٠] .

فالقرآن كله ميسر للفهم والتدبر والعمل ، ومعظمه بينٌ واضح ظاهر المعنى ، وإغلاق العقول عن فهمه وتدبره بحجة عدم معرفة تفسيره والاكتفاء بقراءة ألفاظه ، كل ذلك من أعظم مكائد الشيطان على العبد ليصرفه عن الاهتداء به ، والتصديق لأخباره والتطبيق لأحكامه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد:٢٤] .

والخطاب عامٌ لعموم المسلمين رجالًا ونساءً علماء وعامة : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[آل عمران:١٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

والقرآن كله تعريفُ بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده ، وترغيبُ ، وترهيب ، وتبشير ، وإنذار ، وبيان للحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، وهو كذلك إخبار عن الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين .

فالقرآن العظيم إذا تدبرناه وجدنا أنه ستة آلاف ومائتين وثلاثين آية ، وآيات الأحكام منها خمسمائة آية تقريبًا يعلمها أكثر الناس .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ : وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها ، وتفسير لاَ يُعذر أحدٌ بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لاَ يعلمه إلا الله تعالى ذكره" .

ومعظم القرآن من القسمين الأولين ولهذا كرر الله في القرآن في سورة القمر : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[القمر: ١٧]

علامات وثمرات تدبر القرآن

ذكر الله عز وجل صفات من تدبر القرآن في كتابه العظيم ، وأنها تثمر للعبد ثمرات عظيمة نافعة ، ومن ذلك :

أولًا : اجتماع القلب والفكر أثناء قراءة القرآن وسماعه ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص: ٥٣-٥٥] .

ثانيًا : البكاء من خشية الله ، كما قال سبحانه : ﴿ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩]

ثالثًا : زيادة البكاء والخشوع والوجل ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة:٨٣] .

رابعًا : زيادة الإيمان : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة:١٢٤- ١٢٥] .

وقال الله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾[الأنفال: ٢] .

خامسًا : حصول القشعريرة خوفًا من الله وحبًا لله ، ثم غلبة الرجاء والسكينة التي على القلب : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر:٢٣] .

سادسًا : السجود تعظيمًا لله ، ولكلامه ، كما قال سبحانه : ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ٥٨﴾[مريم: ٥٨] .

سابعًا : الفرح والاستبشار بقراءة القرآن أو سماعه : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة:١٢٤] .

فمن شعر بواحدة من هذه الصفات العظيمة ، أو كلها فقد وصل إلى حالة التدبر ، ومن أوتي من العلم مالا يبكيه ، لخليق ألا يكون قد أوتي علمًا : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨] .

والله سبحانه شرف رمضان ، بنزول القرآن فيه ، فقال سبحانه : ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وشرف ليلة القدر بنزول القرآن فيها ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾[القدر:١-٣] .

وأقسم الله بعظمة القرآن ، قال : ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الواقعة: ٧٥-٧٩] .

ومن قرأ القرآن وحفظه وتدبره ، وفهمه وعمل بموجبه ، ودعا إلى ما فيه ، فقد أدرجت النبوة جنبيه وإن لم يكن نبيًا : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

والنبي ﷺ، كان خلقه القرآن ، وكان أحسن الناس خلقًا، وخلقا، وكان خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه، ويعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهة، ويصدق أخباره، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه، إنك لعلى خلق عظيم .

مفاتيح تدبر القرآن الكريم

مفاتيح تدبر القرآن كثيرة يجمعها عشرة مفاتيح :

المفتاح الأول :

حب القرآن الكريم

فاللسان آلة الكلام ، والرجل آلة المشي ، والقلب آلة الفهم والعقل والإدراك ، فمن عرف الله آمن به وأحبه وكبره وحمده وشكره وأحب كتابه العظيم وامتثل أمره العظيم ونال ثوابه العظيم ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحج:٤٦]

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

والقلوب بيد الله وحده يقلبها كيف يشاء يفتح قلب العبد إذا شاء ، ويغلقه إذا شاء وهو الحكيم العليم الخبير بمن يستحق هذا وهذا ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته :﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

فالقلوب كلها بيد الله والفتح من الله وحده والتدبر وسيلة مأمورٍ بها ، وما يحصل من الفهم والتدبر فهو نعمة من الله وحده تستوجب من العبد الشكر

لا الفخر للذي فتح لك معان القرآن :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

وبيد الله وحده العطاء والمنع ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣] .

والقلوب محل الإيمان والكفر ومحل الحب والكره ، والقلب إذا أحب شيء تعلق به واشتاق إليه وشغف به وانقطعت عما سواه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[الحديد:١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته وسهل عليه فهم معانيه وزادت رغبته في امتثال أوامره واجتناب نواهيه :﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥٥] .

- **وحب القلب للقرآن له علامات منها :**

الفرح بلقائه وقراءته وسماعه والجلوس معه للقراءة التدبر أوقاتًا طويلة دون ملل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[السجدة:١٥- ١٦] .

ثانيًا : الشوق إليه :

متى بعد العهد به وتمني لقاءه وزالت الموانع التي حالت دونه والبكاء عند سماعه : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩]

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[السجدة:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾[مريم: ٥٨] .

ثالثًا : الفرح والتصديق بكل أخباره والمسارعة إلى تطبيق أحكامه أمرًا ونهيًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[آل عمران: ١١٣]

رابعًا : البحث عن حلول المشاكل من خلاله وكثرة مشاوراته والثقة بتوجيهاته : ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزخرف:٤٣] .

هذه أهم أمارات وعلامات حب القرآن فمن وجدها فليحمد الله ، ومن فقدها فليسأل ربه أن يرزقه وإياها ويفعل الأسباب التي أمر الشرع بها ويتوب من ذنوبه :﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[الحديد:١٦] .

وحب القرآن علامة حب الله ورسوله ودينه ، فما هي وسائل حب القرآن وكيف نحصل عليها ؟ .

- **ذلك يحصل بأمور :**

الأول : العلم بأن القرآن الكريم كلام رب العالمين وأرحم الراحمين ، كلام الملك الحق المبين الذي فيه سعادة الخلق أجمعين في الدنيا والآخرة : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤] .

فمن أحب الله أحب كتابه وأحب رسله وأحب دينه وقضى أوقاته في مناجاة ربه بتلاوة كتابه وتدبر آياته : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾[البقرة:١٢١] .

الثاني : القرآن روح ونور ، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾[الشورى:٥٢] .

فنسأل الله عز وجل أن يرزقنا حب القرآن والإكثار من تلاوته وحسن تدبره والعمل بأحكامه ، ومن رزقه الله حب القرآن فقد رزقه الإيمان وفتح له أبواب الهداية إلى الصراط المستقيم ، وفتح له أبواب كتابه ورحمته .

فنستعيذ بالله أولًا من الشيطان الرجيم عند تلاوة القرآن لأن الشيطان من أعظم مقاصده أن يقطع طريق الوصول إلى القرآن الذي هو صراط الله المستقيم ، لعلمه بأنه من أعظم أسباب الهداية والثبات :﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾[البقرة:٢] .

لهذا أمرنا عز وجل أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في كل مرة نقرأ فيها القرآن بقوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[النحل:٩٨-٩٩] .

ثم نستعين بالله ليمدنا بالعون والبركة عند تلاوة كتابه فنقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم نبدأ بسورة الفاتحة التي تضمنت حمد الله والثناء الله وتمجيده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

ومن أعظمها نعمة الهداية التي أنزل بها كتابه العظيم : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة : ٢-٧] .

ونكثر من الدعاء بحب القرآن :

عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، وَابْنُ عَبْدِكَ ، ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُّ عز وجل هَمَّهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ : « أَجَلْ ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ » .

أخرجه أحمد وابن حبان بسند صحيح [1] .

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٤٣١٨)، وابن حبان برقم: (٩٧٢).

فما أعظم هذا الدعاء وما أحوجنا إليه في كل وقت ، ومن علامات قبول هذا الدعاء انشراح الصد ر لقراءة القرآن وكثرة القيام به في الليل والنهار ، وكثرة الحمد على هذه النعمة العظيمة .

الثالث : القراءة عن قضاء القرآن قراءةً وتدبرًا وعملا والإكثار من تلاوته بقلب حاضر، وذلك طريق ميسر لحب القرآن وتعظيمه والمفتاح الرئيسي لتدبر القرآن وفهمه ، وعدم حب القرآن وتعظيمه سببه الجهل بقيمته فمن لا يعرف قيمة القرآن زهد فيه وهجره وبخل عليه بالوقت واشتغل بما هو دونه ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

المفتاح الثاني :

استحضار أهداف قراءة القرآن الكريم

فبعض المسلمين يقرأ القرآن بقصد تحصيل الأجر والثواب لكنه غافل عن التدبر والنيات الأخرى ، وبعض المسلمين يقرأ القرآن ويكرره بقصد تثبيت الحفظ وتجويده ، لكنه غافل عن المعاني العظيمة التي تحملها الآيات التي يحفظ من أخبار وأحكام وقصص ، لهذا تجد حافظًا للقرآن غير عامل به وغير متخلقٍ به ، والحقيقة أن كل عمل صالح كلما تعددت فيه النيات وكثرت كلما كان العمل أعظم أجرا وأكثر ثوابًا وأكثر تأثيرًا على من قام به ، وقراءة القرآن العظيم بالتدبر يجتمع فيها للمسلم نيات ومقاصد عظيمة لا تفوت إلا على محروم .

ويجمعها خمس مقاصد كلها عظيمة نافعة ، وكل واحدة منها كافية لدفع المسلم والمسلمة للمسارعة إلى قراءة القرآن وتدبره وصحبته ومدارسته والاعتبار بما ورد فيه :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

وهذه الأهداف المقصودة من قراءة القرآن هي حصول الثواب وحصول العلم وحصول العمل وحصول الشفاء ، ولذة المناجاة والدعاء ، فمن قرأ كتاب ربه الكريم مستحضرًا هذه المقاصد العظيمة والنيات الكبيرة كان انتفاعه بالقرآن الكريم أعظم وأجره أكبر ، فالنيات تجارة العلماء يربحون

بها على الله أكثر من غيرهم :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال النبي ﷺ« إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ». متفق عليه(١) .

فمن قرأ القرآن يريد العلم رزقه الله العلم بأنواعه ، العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعلم بآياته ومخلوقاته والعلم بأحكامه وأوامره ، والعلم بوعده ووعيده وثوابه وعقابه ، فالقرآن فيه علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون وما سيكون: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وقال الله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

المقصود الأعظم من إنزال القرآن والأمر بقراءة وترتب الثواب عليه هو العلم وما أنزل الله من آية إلا وهو يحب أن يعلم بها الخلق ويعمل بموجبها تصديقًا للأخبار وتطبيقًا للأحكام : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

وقراء القرآن ثلاثة أصناف :

الأول : صنف اتخذوه بضاعة وتجارة يأكلون به المال .

الثاني : صنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده ، واستكبروا به على غيرهم واستدروا به الولاة ، وقد كثر هذا الصنف من القراء نسأل الله لهم الهداية .

الثالث : صنف قرأ القرآن بألسنتهم وقلوبهم وسمعوا ربهم يتكلم به ويصف عظمة جلاله وجماله وعظمة ملكه وسلطانه وعظمة إنعامه وإحسانه وجمال

(١) أخرجه البخاري برقم: (١).

أخباره وأحكامه وجزيل صوابه وعظيم عقابه ، فهؤلاء خير الناس أنار الله قلوبهم بالإيمان والقرآن ، فكلامهم نور وأعمالهم نور ومجالسهم نور يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

والعلم الذي يريده العبد من القرآن هو العلم الذي يحقق السعادة للعبد في الدنيا والآخرة .

- **وهو ثلاثة أقسام :**

١- العلم بالله بأسمائه وصفاته وأفعاله .

٢- العلم بأركان الإيمان .

٣- والعلم بأركان الإسلام وأوله العلم المقتضي للاستغفار .

والعلم بالله هو العلم بلا إله إلا الله : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

العلم الذي يورث الاستغفار والخشية : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .

فالعلماء حقا هم العلماء الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨] .

فالعالم الحق هو من يخشى الله تعالى ، وإن كان لا يعرف كتابة اسمه ، الذين رضي الله عنه م ورضوا عنه من الصحابة أكثرهم لا يعرف الكتابة ،

لكنه يخشى الله ويتقيه ويطيع الله ورسوله : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

يجب علينا أن نقرأ القرآن باستمرار قراءة تدبرٍ وتفكرٍ ، قراءة من يستعد للاختبار فيه ، والمسلمون منهم الجاد في قراءة القرآن ومنهم المهمل والمقصر ، فمن أراد الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة ؛ فليمسك بكتاب ربه ليتعلم منه ويعمل بموجبه ويتخلق بأخلاقه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾[الزخرف:٤٣] .

ومن فعل ذلك نفعه توحيده وكان معه ربه ، وحفظه من كل شر : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾[التوبة:٤٠] .

وقال موسى : ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾[الشعراء:٦٢] .

وقال يوسف معاذ الله : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[يوسف: ٢٣] .

وكل حدثٍ أو مشكلة في الحياة ففي القرآن حلًا لها وجوابًا عليها ، ومن قرأ القرآن بتدبر أوصله الله إليها ، فقراءة الألفاظ وسيلة لقراءة المعاني التي هي المقصودة : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة:١- ٢] .

ومن أراد السعادة البدنية والقلبية فليطلبها بالقرآن الكريم قراءةً وتدبرًا وعلمًا وعملًا وأدبًا وخلقًا : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

والقرآن الكريم كتابٌ عظيمٌ جامع ، فهو كتاب الدعوة إلى الله ، والنبي ﷺ كان يكتفي بتلاوة القرآن على الكفار فيحدث ذلك أثرًا في نفوسهم ، ويشدهم إلى المزيد من سماعه لما فيه بيان الحق ويسر العمل به وحسن ثوابه ، وصرف الناس إلى ربهم الذي خلقهم ورزقهم وهداهم بإعلان العبودية له وحده لا شريك له ، وهو بهذا مستجيب لأمر ربه الذي أمره بقوله : ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[ق: ٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء:١٠٦]

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التوبة: ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[النمل: ٩٢] .

فعلينا دعاة وعلماء ومُصلحين ومُربين وعُبادًا نهتم بهذا الأمر ونقتدي بالنبي ﷺ في كل ذلك : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

إن انشغال أكثر المسلمين اليوم بمؤلفات البشر وطلبهم للشفا والعافية بها يشبه الاكتفاء بأطعمة ترضي الذوق والمزاج في حين أنها تهدم الجسد وتفسده ، فعلينا أن نستفيد من القرآن الذي كله هدىً وشفاء ورحمه : ﴿ إِنَّ

هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الإسراء:٩] .

والقرآن العظيم يحيي الله به القلوب، كما يحيي الأرض بالماء : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحديد:١٦-١٧] .

فحياة القلوب تكون بذكر الله وتلاوة كتابه ، كالأرض الميتة تكون حياتها بالماء : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج:٥] .

والقرآن ربيع المؤمن يثمر له أنواع الخيرات والبركات ، كما أن الماء ربيع الأرض ينبت فيها أنواع النباتات ، ولهذا نرى من زكاة القلوب ورقتها ولينها وأنسها في رمضان حين يتوالى عليها سماع القرآن وقراءته ويكثر القيام به في لياليه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء:٧٩] .

وتزكية الإنسان وإصلاح قلبه تكون بأمرين :

الأول : التعلم والتعليم : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

الثاني : العمل والسلوك ، ومن أراد تغيير فكره وعمله وحياته وأخلاقه للأحسن فعليه بقراءة القرآن : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا

مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران:١٦٤] .

وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

استحضار أهداف قراءة القرآن الكريم :

قراءة القرآن بقصد العمل به ، ينبغي لحملة القرآن الكريم العمل بموجبه بتصديق أخباره وتطبيق أحكامه ، فالعالم حقًا من عمل بما علم ووافق علمه عمله وطابق علانيته سريرته ، فأولى الناس بالقرآن من اتبعه وإن لم يكن قرأه .

فقارئ القرآن يجب أن يكون أول من يعمل به فيسأل نفسه عند القراءة ، متى أكون من المتقين ، متى أكون من المحسنين ، متى أكون من الصادقين ، من الخاشعين ، من الصابرين ، متى أنهى نفسي عن الهوى ، متى أزهد في الدنيا ، متى أكون مستقيمًا ، متى أكون داعيًا إلى الله ، متى أكون معلمًا لشرع الله ، ومن الناس من يقول قرأت القرآن كله فما أسقطُ منه حرفًا ، وقد والله أسقطه كله ، ما يرى القرآن له في خُلقٍ ولا قولٍ ولا عمل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الصف: ٢] .

والرسول ﷺ كان خُلقه القرآن يتأدب بآدابه ويحل حلاله ويحرم حرامه ويصدق أخباره ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ويغضب لغضبه ويرضى لرضاه ، ولنا فيه أسوة في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وإنما جمع القرآن حفظًا وتدبرًا من سمع له وأطاعه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

فالقرآن كله تربية وإصلاح وتعليم وتوجيه وإرشاد ، فنقرأ القرآن بنية هذه الأمور العظيمة ، بنية العلم والعمل ، بنية البحث عن العلوم والأعمال والصفات التي تزكو بها النفوس : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٨] .

فالقرآن الحكيم فيه تبيان كل شيء ، وإسعاد البشرية في كل شيء ، وحل جميع المشاكل على مستوى الأفراد والشعوب والأمم ، ومن اهتدى بغير القرآن فلن يهتدي؛ لأن القرآن كتاب الهداية وحده ، وتطبيقه في السنة النبوية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

وقال الله عز وجل :﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧-١٣٨] .

ومن قرأ القرآن لطلب الأجر والثواب ، وبحث عن أسباب السعادة في غيره وعطل القرآن عن العمل بما فيه من أخبارٍ وأحكام وأخلاق ، فقد عطل القرآن عن أعظم مقاصده وهو العمل به وضل ضلالًا بعيدًا وخسر خسرانا مبينًا ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران:٨٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة:٥٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

أما قراءة القرآن بقصد طلب الاستشفاء به ، فالقرآن كله هدىً وشفا ورحمة وموعظة : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

والقرآن العظيم شفاءُ للقلوب والأبدان من جميع الأمراض والأسقام والعلل والأدواء .

- **والشفاء بالقرآن أربعة أنواع :**

الأول : شفاء القلوب من أمراض الشبهات ، وأمراض الشك والريب والنفاق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[يونس: ٥٧] .

الثاني : شفاء القلوب من أمراض الشهوات الحيوانية التي تمنع من الاستجابة لامتثال الأوامر الإلهية : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

والقرآن يبين للناس أن الدنيا دار تكميل الإيمان والأعمال الصالحة ، مع الأخذ من الطيبات بقدر الحاجة وتكميل الشهوات يوم القيامة في الجنة: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٤-١٦] .

الثالث : شفاء الصدور من الهم والحزن والضيق والقلق والخوف والرعب والوساوس : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴾ [الفتح: ٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾[فصلت:٤٤] .

الرابع : شفاء الأبدان من الأسقام والعلل : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[الإسراء:٨٢] .

وكل إنسان يسعى لشفاء قلبه وبدنه ، ولا يوجد ذلك إلا في القرآن الكريم ، الذي بين الله الهدي من الضلالة والحق من الباطل ، وبين فيه الحلال من الحرام والطيبات من الخبائث ، والشفاء في هذا وهذا فقط .

وإذا استحضر قارئ القرآن هذا الأمر حصل له الشفاءان العلمي القلبي والمادي البدني بإذن الله ﷻ، فهو الشافي الذي بيده الشفا وعنده خزائن الشفاء : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك: ١] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[الشعراء : ٨٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣] .

- **والاستشفاء بالقرآن يكون بأمرين :**

الأول : قراءة القرآن آناء الليل والنهار خاصة القيام به في جوف الليل الأخر وقت نزول الإله إلى السماء الدنيا ، ولأن النفوس بعد القيام من النوم تكون صافية حاضرة فيحصل لها فهمٌ عميقٌ للقرآن وحسن التدبر لآياته وفقه لأخباره وأحكامه ؛ ليمتلئ القلب بنور الإيمان ويطمئن بذكر الله ويرى ربه

ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فيسلم قلبه وجوارحه وأوقاته لربه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ٦ ﴾ [المزمل: ١-٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء:٧٩] .

والمقصود من قراءة القرآن وسماعه توصيل القرآن إلى القلوب لتهتدي به وتستشفي به من جميع الأمراض البدنية والقلبية : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ [البقرة:٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾[الزمر:٩] .

الثاني : الرقية بالقرآن ، فالقرآن العظيم شفاءٌ من كل داء بدني أو نفسي لما فيه من ذكر الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وتمجيد الملائكة الكرام المقربين وتحقير المردة والشياطين ، والريق الناتج من تلاوة آيات القرآن الكريم له أثر عظيم في القوة والنشاط والطمأنينة والراحة والعافية: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ ﴾ [الإسراء:٨٢] .

فالمسلم يرقي نفسه ، أو يرقيه غيره بالسور والآيات القرآنية والأدعية والأذكار القرآنية فيحصل الشفاء بيد الله ، فمن قرأ القرآن أو سمعه بنية حصول الشفا والعافية وتقين على ذلك وتوكل على من بيده خزائن كل

شيء ، شفاه الله من علله وأسقامه البدنية والقلبية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾[يونس: ٥٧] .

اللهم رب الناس أذهب الباس أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك ، شفاءً لا يغادر سقمًا : ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾[الشعراء : ٨٠] .

والاستشفاء بالقرآن ميسر لكل أحد آمن بالله ، وصدق بما في كتابه العظيم ولزم تدبره وتلاوة فأرقي نفسه بنفسه بكتاب ربه ، وهذا يغنيه إذا نزل به مرض أو ضيق عن أن يجوب الآفاق ويطوف في البلاد ليبحث عن القراء والمعالجين ، والأمر أيسر من ذلك ولله الحمد : ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾[القمر: ١٧]

فالله سبحانه حين يبتلي عباده بالمصائب والأمراض فإنما يريد منهم أن يتضرعوا إليه ويتذللوا بين يديه ، ولا يذلوا نفسهم لأحد سواه ، فما ابتلى سبحانه إلا ليعافي وما منع إلا ليعطي ، وما قبض إلا ليبسط .

وقد شرع لنا الدعاء والتوبة والاستغفار ليزول عنا البلاء ويحصل الشفاء ، والقيام الطويل بالقرآن هو من أهم صور التذلل لله سبحانه والتضرع بين يديه ، كما يحصل في قرآن الفجر وصلاة الكسوف ، القيام بالقرآن قراءة وتدبرًا من أقوى أسباب العافية والشفاء :﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾[المؤمنون:٧٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾[النمل:٦٢] .

قراءة القرآن بقصد مناجاة الله السميع البصير ، فالله عز وجل يحب كلامه ويحب من ناجاه ويحب من وقف بين يديه تاليًا لكتابه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[الإسراء:٧٩] .

وقال تعالى: وقال تعالى: وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ ﴾[الفرقان: ٦٤] .

ومن أراد الانتفاع بالقرآن فليجمع قلبه عند تلاوته أو سماعه ويلقي سمعه ليفهم خطاب ربه ، ويحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ ﴾[الأعراف:٢٠٤] .

وتذكر يا قارئ القرآن أنه يجتمع لك في المناجاة بالقرآن خمس معانٍ عظيمة وهي :

١ – أن الله يحبك حين تقرأ القرآن

٢ – وأنه يسمعك إذا قرأته

٣ – وأنه يراك حين تقرأ

٤ – وأنه يمدحك ويثني عليك في الملأ الأعلى

٥ – وأنه سيعطيك ما تسأل

كما قال النبي ﷺ « مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَجْهَرُ بِالقُرْآنِ »متفقٌ عَلَيْهِ(١) .

ومعنى أذن أي استمع ، فعلينا حين نقوم بالقرآن نتلوه بين يدي الله في الصلاة وخارجها أن نستحضر هذه المعاني العظيمة ، ونستحضر عظمة من تكلم به ، وعظمة من أنزله ويسر لنا تلاوته ، ومن رزقه الله هذا الفهم شعر

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٤) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٢).

بلذة قراءة القرآن ، ولم يشبع من قراءته وتكراره وحلاوة ألفاظه ومعانيه ، خاصةً إذا أيقن أن الله يراه ويستمع لقراءته ويمدحه ويثني عليه بحسن ترتيله وخشوع قلبه ويباهي به ملائكته المقربين؛ لأنه قائم يناجي ربه بكلامه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[السجدة:١٥- ١٦] .

وبهذه المناجاة يرى العبد أن ربه يخاطبه مباشرة ، وأنه يستمع له فإذا مر بآية فيها تسبيح سبح ربه ، وإذا مر بآية فيها سؤال سأل ، وإذا مر بآية فيها وعيد استعاذ بالله، وإذا مر بآية فيها أمر أجاب ، وإذا مر بآية فيها نهي اجتنب، وهكذا تكون المناجاة بالقرآن بقراءة حية يعي فيها القارئ لمن يقرأ ، وماذا يقرأ ، ولماذا يقرأ ، ومن يخاطب بقراءته، وماذا يحتاج منه وما يجب له نحوه من التعظيم والتكبير والحمد والشكر: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾[الفاتحة : ٢-٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾[الكهف:١] .

وأما قراءة القرآن بقصد الحصول على الثواب العظيم ، فالقرآن متعبد بتلاوته، ومتعبد بتدبره ، ومتعبد بالعمل به فقراءة الحرف الواحد بحسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، وترتب الأجور العظيم على قراءة القرآن للترغيب في قراءته وتدبره ، ثم العمل به وإبلاغه للناس :﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ القُرَظِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ مَسْعُودٍ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهَّ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » . رواه الترمذي بسند صحيح(١) .

قال ﷺ: « المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيُتَعْتِعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » . متفق عليه(٢) .

وقال ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري(٣) .

وقال ﷺ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ». أخرجه مسلم(٤)

وقال ﷺ: « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح(٥) .

وقال النبي ﷺ : « مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ » . متفق عليه(٦) .

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٧) ، ومسلم برقم: (٧٩٨)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٨٠٤).

(٥) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٣).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٧)، ومسلم برقم: (٧٩٧)، واللفظ له.

وقال ﷺ: « وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . أخرجه مسلم(١).

فهنيئًا لمن تلا كتاب ربه بالنفع عظيم والعلم الكبير والأجر الكريم : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة:٤] .

وقال تعالى:﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

وإذا امتلأ القلب بحب القرآن والعلم بما فيه ، والعمل به وحسن مناجاة الله به ، وطلب الثواب بتدبره وقراءته بكى القلب حبًا لله وتعظيمًا له وحمدًا لله وأكثر اللسان من ذكره وحمده وشكره والتوبة إليه واستغفاره ، وإذا خلا القلب من المعاصي بكت العين إجلالًا وتعظيمًا وحبًا للملك الكريم الوهاب : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩]

وقال الله عز وجل: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية:٣٦-٣٧] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٩٩).

المفتاح الثالث:

أن يقرأ المسلم القرآن حفظًا من قلبه

فالقلب العامر بحفظ القرآن لا يقربه شيطان، كما قال سبحانه : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٩] .

فالقلوب أوعية الإيمان والقرآن ، وكما أن البيت الخرب مأوى الشياطين ، فكذلك القلب الفارغ من القرآن مأوى الشياطين : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الإسراء: ٤٥-٤٦] .

وعن ابن عباس قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ » . أخرجه الترمذي بسندٍ صحيح[1].

والمؤمن الحافظ لكتاب الله عز وجل أو الحافظ لبعضه جنته وبستانه في صدره ، أنى ذهب فهي معه يأخذ منه ما شاء متى شاء ، ويزداد بها ثباتًا ويقينًا : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٣).

ومثل حافظ القرآن وغير الحافظ كاثنين في سفر ، أحداهما زاده التمر ، والثاني زاده الدقيق ، فالأول يأكل متى يشاء وهو على راحلته ، والثاني لابد له من النزول والعجن وإيقاد النار والخبز : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣ -٧٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

فحفظ القرآن الكريم أحد مفاتيح التدبر ؛ لسهولة استحضاره بشكل سريع ومباشر ، وتدبر معانيه في كل وقت، والعلاقة بين الحفظ والتدبر لآيات القرآن أن حفظ القرآن وتكرار قراءته وترديده وهو محفوظ أفضل من تكرار قراءة نظرًا ؛ لأن التفكر في المحفوظ مستمر .

أما غير المحفوظ فيقف التفكر فيه عند إغلاق المصحف ، وحفظ القرآن الكريم وسيلة لا غاية ، وسيلة لحفظ المعاني والانتفاع بها، والمقصود الأعظم من حفظ القرآن تدبر معانيه وحفظ ما تضمنه من العلوم والأخبار والأحكام ، وأعظمها العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم العلم بدينه وشرعه والعلم باليوم الآخر ، ثم التعبد لله بمقتضى ذلك : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وحفظ القرآن وتكرار قراءته أعظم وسيلة للثبات أمام الأزمات : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان:٣٢] .

المفتاح الرابع :

الجهر بالقرآن والتغني بالقراءة .

الجهر بالقراءة وتزيين الصوت بالقراءة أعون على الفهم والتدبر والانتباه وحضور القلب ، والتغني وتزيين الصوت بالقراءة هو السنة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » ، وَزَادَ غَيْرُهُ : « يجْهَرُ بِهِ » . رواه وأخرجه البخاري[1] .

عن أَبِي هُرَيْرَةَ أنه سمع النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ : « مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ ، يجَهر بِالْقُرْآنِ » . متفق عليه[2] .

وعن أم هاني رضي الله عنها قالت : « كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي » . أخرجه النسائي وابن ماجه بسند حسن[3] .

- **والجهر بالقراءة درجات :**

أدناها أن يُسمع المرء نفسه

وأعلاها أن يُسمع من قرب منه

وكلما كان الصوت مشدودًا حيًا كان أعمل على التدبر والفهم وطرد الوساوس والأفكار التي تصرف القلب عن التدبر :﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٢).

(٣) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (١٠١٣)، وأخرجه ابن ماجة. رقم: (١٣٤٩).

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾[الإسراء: ١١٠] .

- **والجهر بالقرآن له فوائد وثمراته :**

١- منها أنه يساعد على حضور القلب وتدبر المعاني وفهم الخطاب .

٢- ومنها استماع الملائكة الموكلة بسماع الذكر وهروب الشياطين ، وفرارهم من القارئ والمكان الذي يقرأ فيه القرآن .

٣-ومنها أن الجهر بقراءة القرآن فيه تطهير للبيت و تعطيرٌ له بالذكر وحصول الخير والبركة فيه ؛ لأن الملائكة فيه والشياطين خرجت منه ، والنور يملأ أرجائه .

أما كيفية التغني بقراءة القرآن:

فيكون بتشغيل جميع الجوارح الصوتية من اللسان والشفتين والحلق بالقراءة ، وكلما كانت القراءة بتغنٍ وحسن صوت كانت أقوى تأثيرًا ، وأقوى توصيلاً لمعاني إلى القلب ، وأعظم أثرًا في خشوع القلب ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[المائدة:٨٣] .

والتغني المطلوب شرعًا :

هو المرتبط بخشوع القلب وتدبر المعاني وفهم الآيات وحسن الصوت بالقرآن ، أجمل صوت سمعه البشر وحسن الصوت له ارتباط قوي بخشوع القلب ، فقوة التغني بالقراءة تؤدي إلى خشوع القلب ، وخشوع القلب يؤدي إلى قوة التغني بقراءة القرآن ، أما التغني المذموم فهو المنفك عن

التدبر والتأمل والخشوع : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩]

وقال عز وجل : ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾[مريم: ٥٨] .

المفتاح الخامس :

ترتيل القرآن الكريم .

ترتيل القرآن الكريم هو قراءة بترسل وتمهل مع تجويد اللفظ وحسن الصوت ، كما قال سبحانه : ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ٤].

وقراءة القرآن على تمهل وتأني عون على فهم القرآن وتدبره .

عَنْ حَفْصَةَ ، أَنَّهَا قَالَتْ : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ صَلَّى فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا ، حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعَامٍ ، فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا ، وَكَانَ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا » . أخرجه مسلم[1].

عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : « صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ، ثُمَّ مَضَى ، فَقُلْتُ : يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ ، فَمَضَى ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ ، فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ ، فَقَرَأَهَا ، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا ، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ » ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ ، فَقَالَ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى » ، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ . قَالَ : وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ ، فَقَالَ : « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ » . أخرجه مسلم[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٣٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٢).

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سألت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت : « كان يقطع قراءته آية آية : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: ١ – ٧]»

أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[1].

فترتيل القرآن والترسل في قراءته وحسن الصوت به والتغني به ، زين القرآن وعونٍ على فهم آياته وأحكامه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل: ١-٤].

ومن رتل القرآن وتدبره ، كمل انتفاعه بالقرآن وحقق المقاصد المطلوبة من قراءة القرآن ، واتبع هدي النبي ﷺ وأصحابه في القراءة والترتيل والتدبر ، ورابط الترتيل أن يتمكن القارئ من التدبر والتفكر والتأمل حين القراءة ، وهذا يتطلب التمهل والترسل ، بل يتطلب أحيانا التوقف ، وذلك يتفاوت من قارئ إلى آخر : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [ص:٢٩] .

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٠٠١)، وأخرجه أحمد برقم: (١٩٤٦٤).

المفتاح السادس :

التوقف والتكـــرار .

التوقف حين قراءة القرآن أو تكرار الآية يزيد في فهم معنى الآيات ، وعمق فهمها والتوقف والتكرار للآيات يحصل تعظيمًا لمن تكلم به سبحانه وإعجابًا بقوة معاني القرآن وحسن ألفاظه وحسن أحكامه وأخباره والتكرار لآيات القرآن إنما هو نتيجة وثمرة للفهم والتدبر ووسيلة للفهم التدبر إذا لم توجد .

عن أبي زر رضي الله عنه : « قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا »﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[المائدة: ١١٨] . » .

أخرجه ابن ماجه وحسنه الألباني في سنن النسائي [1] .

وفي كل تكرار وفي كل تدبر فهم جديد وعلم جديد وتعبد جديد : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩]

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥- ١٧] .

(١) حسن/ أخرجه ابن ماجة برقم: (١٣٥٠)، وأخرجه النسائي برقم: (٢/ ١٧٧).

وقال الله عز وجل :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ٥٨ ﴾[مريم: ٥٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

المفتاح السابع :

القيام بالقرآن الكريم في الصلاة

فتلاوة القرآن في الصلاة وتدبره ينتج عنه حياة القلب وقوته وعافيته وطمأنينته وسكونه .

فالإكثار من تلاوة القرآن في الصلاة من أهم مفاتيح تدبر القرآن وأعظمها شأنًا خاصة في الليل فالتهجد والقيام بالقرآن في الصلاة ليلًا طريق للوصول إلى المقامات العالية في الدنيا والآخر :﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[الإسراء:٧٩] .

والقيام بالقرآن هو السبيل لتحمل الأحمال الثقيلة التي تواجه الإنسان في الحياة سواء كانت دينية أو دنيوية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ٦ ﴾ [المزمل: ١-٦] .

ولهذا من آمن بالله آمن بكتابه ورجع إليه في حل مشاكله ، ولما كان العلماء أعرف الناس بذلك قاموا به بين يدي ربهم ركعًا سجدًا فرفع درجاتهم وأعلى مكانه :﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾ [الزمر:٩] .

وأكثر الناس علمًا أكملهم إيمانًا وأصدقهم عبادة : ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٣]

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥- ١٧] .

- **والمنافسة والمسابقة مشروعة في أمرين :**

١-القيام بالقرآن تلاوة وتصديقًا وتطبيقًا .

٢-وإنفاق المال في سبيل الله وهذان هما الطريق الأفضل لكل الفضائل ومنهما تتفرع الخيرات والبركات والسعادات في الدنيا والآخرة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهَّ. ﷺ « لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُّ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ » . متفق عليه[1].

فمن تعلم القرآن وعلمه وعمل به كمثل جراب محشوة مسكًا يفوح ريحه من كل مكان ومن تعلم القرآن ولم يقم به ولم يعمل به بل ركض عنه ، كمثل من اشترى طيبًا وتركه مقفلًا في قارورته فلم ينتفع به ولم نفع غيره به .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨١٥).

الطريق إلى حفظ القرآن وتثبيت آياته في القلب وتذكر معانيه والتأثر بما فيه من المواعظ والأخبار والقيام بالقرآن ، وعدم القيام به سبب لنسيانه والحرمان من نوره وبركات . ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ » . أخرجه مسلم(١) .

وحفظ معاني القرآن ورسوخها في القلب وكونها حاضرة في الذهن في كل وقت هذا المقصود من إنزال القرآن والقيام بالقرآن : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص:٢٩] .

فكل من قام بالقرآن يتلوه ويكرره في صلاته آناء الليل وآناء النهار ويتدبر معاني آياته تجده أنور الناس وجهًا وأحسنهم أدبًا وتجد إجاباته إذا سُئِل حاضرة وسريعة وقوية لأنه يجيب من كلام ربه الذي حفظه من كثرة تلاوته وتدبره .

وتجده كذلك وقافًا عند حدود الله مسارعًا إلى امتثال أوامر الله : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾[السجدة:١٥] .

(١) أخرجه مسلم رقم: (٧٨٩).

ومن تربى على هذا المفتاح من صغره صار هذا المفتاح بيده في كل أوقاته وسهل عليه الانتفاع بكتاب ربه وصار أسعد الناس : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[البقرة: ٣٨-٣٩] .

فكثرة الصلاة وتكرار القرآن فيها وتدبر معاني الآيات تحصل بها الحياة للقلب والبدن ومواجهة الصعاب : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[البقرة:١٥٣] .

فالقرآن مع الصلاة هما سبيل النجاة وفيهما المفزع إلى الله لدفع الضر وجلب النفع وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[العنكبوت:٤٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾[فاطر:٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾[الأعراف:١٧٠] .

والقيام بالقرآن وتدبره أساس السعادات وأساس الأمن والهداية والطمأنينة : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[المعارج: ١٩-٢٣] .

فهنيئًا لمن وفقه الله بحفظ كتابه والقيام به وتدبر معانيه وتصديق أخباره وتطبيق أحكامه والتأدب بآدابه فهذا هو المقصود من إنزاله والقيام به : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

ولكن قد يوجد من يقوم بالتهجد ليلًا ويقوم في النهار بالغش والكذب والخداع والنفاق ويجزع ويتسخط ويحسد ويأكل الربا ويأكل حقوق الناس ويمشي بالغيبة والنميمة ويأكل الربا ويغشى المحرمات فهذا قيامه قيام ليل أجوف فهو يركع ويسجد بقالبه لا بقلبه وقيامه مجرد حركات لا يعقل منها شيئًا وقصده تكثير الركعات والتسليمات وليس القيام بالقرآن الذي هو أصل العلم والإيمان: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وبعض حفاظ القرآن جعلوا صلاتهم بالليل وسيلة لمراجعة حفظه دون أن يحضر معه قلبه ودون أن يعي من يقف بين يديه في صلاته ودون أن يعي عظيم قدر الصلاة وتطبيق أحكامها قلبًا وقالبًا ظاهرًا وباطنًا وكذلك من همه ختم القرآن كما في رمضان فليس هذا ولا ذاك من القائمين بالقرآن كما أمر الله به وكما فعله رسوله ﷺ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون:١-٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾[الأنفال: ٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩ ﴾ [الإسراء: ١٠٩]

وإذا قام العبد يتلوا كتاب ربه في صلاته فإنه يناجي ربه ويزداد قربًا منه فليعبد ربه كأنه يراه وليتأدب بين يديه ويسلم له قلبه وجوارحه : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ ﴾[البقرة:٢٣٨].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ » . أخرجه البخاري(١) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ ، فَلا يَبْزُقَنَّ أَمَامَهُ ، فَإِنَّهُ مُسْتَقْبِلٌ رَبَّهُ » . أخرجه مسلم(٢) .

والمسلم في صلاته يتوجه بقلبه إلى ربه ويتوجه ببدنه إلى معظم بأمر الله وهو الكعبة : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[البقرة:١٤٤] .

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « والإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . متفق عليه(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٠٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٥١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨).

والمقصود من الصلاة القيام بين يدي الله تمجيدًا وتكبيرًا له وحمدًا وشكرًا له وسؤاله واستغفاره وتقديم التحيات المباركات للذي خلقنا وهدانا وأطعمنا وسقانا وبعض المسلمين يقوموا إلى الصلوات المفروضة ويصليها على أنها واجب يؤديه وبعضهم يستكثر من النوافل طمعًا في زيادة الثواب والأجر أو تكفير السيئات ومحو الذنوب أو رفعة الدرجات .

وهذه بعض مقاصد الصلاة وروح الصلاة شيء آخر وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي ما زالت جارية حديثة السن في عهد الرسول ﷺ كانت تنظر إلى الصلاة بهذا الفهم ولهذا تعجبت من كثرة وطول صلاة النبي ﷺ فكانت تظن أن من غفرت ذنوبه لا يحتاج إلى كثرة الاجتهاد في الصلاة فبماذا أجابها زوجها العالم بربه وما يجب له من التحميد والتكبير والحمد والشكر والثناء على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ؟ .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » . متفق عليه[1] .

ولهذا شرع الله لنا أنواع الصلوات المفروضة والسنن المؤكدة والمستحبة لما فيها من عظيم المنافع : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[البقرة:٢٣٨].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٣٠)، ومسلم برقم: (٢٨٢٠)، واللفظ له.

المفتاح الثامن :

أن تكون قراءة القرآن الكريم في الليل

فأفضل الأوقات للتفكر والتدبر للقرآن هو الليل خاصة وقت السحر ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦ ﴾ [المزمل: ١-٦] .

وسبب بركة هذا الوقت أن الإنسان إذا قام للتهجد في الليل يكون بدنه مستريحًا وذهنه صافيًا مستعدًا لفهم المعاني ، وفقه الأسرار : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩ ﴾[الزمر:٩] .

ووقت السحر مبارك ؛ لأنه وقت نزول الإله إلى السماء الدنيا حبًا لعباده ليعطيهم ما سألوه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » . متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٥٨).

فلا يثبت القرآن في الصدر ولا يسهل حفظه ولا يتيسر فهمه إلا القيام به في الليل ، فأي أمر تريد تثبيته في الذاكرة وحفظه فليكن في هذا الوقت : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ٦ ﴾ [المزمل: ٦] .

وقيام الليل سنة الأنبياء والمرسلين ، ودأب الأتقياء والصالحين ، وبه يجتمع لهم خير الدنيا والآخرة : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء:٧٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ ﴾ [آل عمران: ١١٣]

إن قراءة القرآن في صلاة الليل في التهجد يحصل معها الصفاء والهدوء حسن الفهم وقوة التدبر ، حيث لا أصوات تشغل الأذن ولا صور تشغل العين فيحصل للقارئ والمصلي صفاء التركيز الذي يؤدي إلى وصول معاني القرآن في القلب .

ولهذا كانت مدارسة جبريل للنبي ﷺ للقرآن في كل ليلة من رمضان ؛ لأن الليل فيه السكون والهدوء ، أما النهار فهو مظنة الشواغل والملهيات والحاجات والأصوات فلا يصفوا الذهن لتدبر القرآن وفهم معانيه التي هي المقصودة من القيام به .

ولهذا كانت صلاة الليل والوتر من السنن المؤكدة ، لما في ذلك الوقت من الهدوء والنزول الإلهي ، وفتح أبواب السماء والبعد عن الرياء وفراغ الذهن من الشواغل ، وكان النبي ﷺ يقوم الليل بثلاثة عشر ركعة أو إحدى عشرة ركعة ، وهي الأكثر من فعله ﷺ.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » . أخرجه مسلم[1] .

لهذا ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن ينتفع بهذا المفتاح العظيم ، وأن يقوم بتلاوة وتدبر كتاب ربه في هذا الوقت ، وما حرم أحد من القيام في هذا الوقت إلا بذنب أحدثه ، فليتب العبد إلى ربه ويكثر الاستغفار في كل وقت : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

والإسراء بالنبي ﷺ كان ليلًا : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء:١] .

والقراءة للقرآن في الليل أنفع للقلب ، كما أن السقي للبنات في النهار أنفع للنمو والثمرة .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٤٧).

المفتاح التاسع :
التحزيب للقرآن الكريم .

قراءة القرآن غذاء ودواءٌ للقلوب كالغذاء والعلاج للأبدان ، فلابد أن تكون بقدر معين لا نزيد عليه ولا ننقص منه حتى يحدث الأثر في القلب من تعظيم الله ومحبته وحمده وشكره وامتثال أمره واجتناب نهيه ، والله سبحانه أنزل القرآن لنعمل به ووسيلة العمل به العلم به وذلك يحصل بتكرار قراءته وتدبر معانيه :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

وكلما تقاربت أوقات القراءة وكثرت تكرار القراءة ، كان ذلك أقوى لحفظ القرآن في القلب وفهم معانيه وأسراره ، فما تكرر تقرر ، ولهذا عظمت أجور قارئ القرآن وشرعت أنواع الصلوات من أجل ذلك ، والمدة التي أقرها النبي ﷺ لأمته بقراءة القرآن لمن رغب في الخير والعلم هي سبعة أيام إلى شهر ، ونهى عن قراءته في أقل من ثلاث .

لهذا ورد عن أصحاب النبي ﷺ أقوالٌ وأفعالٌ تؤكد على أهمية تحزيب القرآن ، وأن يكون له أوقات معلومة ليسهل حفظه وتدبره وفهم معانيه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ ﴾[المزمل: ٢٠] .

ولا يمكن للمسلم من إتباع ما جاء في كتاب الله إلا بالمداومة على قراءته بوقت معين بقدر معين : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥٥] .

وحياة القرن الأول أفضل حياة بسبب ملازمة تلاوة كتاب الله وتدبر معانيه والعمل بأحكامه ، وما يوجد في حياتنا اليوم من نقص الإيمان والأعمال واضطراب الأحوال إنما هو بسبب هجر القرآن تدبرًا وعملًا وتخلقًا ، وقال الرسول : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠] .

إن أول مرحلة وأول خطوة في ميدان طلب العلم هي القيام بقراءة القرآن حفظًا وتدبرًا وتلاوةً في كل سبعة أيام وأي استعجال في هذا الأمر حصدٌ للنتائج قبل نضجها وإتيانٌ للبيوت من ظهورها : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٤].

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

فحافظ أخي المسلم على قراءة حزبك من القرآن ، فإنه من أعظم العبادات إن تدبرت آياته وفهمت معانيه:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢] ومن اشتغل بفروع العلم الشرعي بجل أوقاته وقصر في القيام بالقرآن وتدبره ، فقد هجر أعظم مصادر الإيمان والعلم والفقه : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[المؤمنون: ٦٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥٥] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » . أخرجه مسلم(١).

عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَلَيْنَا اللَّيْلَةَ قَالَ إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنْ الْقُرْآنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَخْرُجَ حَتَّى أُتِمَّهُ ، قَالَ أَوْسٌ بن حذيفة فَسَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ قَالُوا ثَلَاثٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ وَتِسْعٌ وَإِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ » . أخرجه أحمد ورواه ابن داود بسند صحيح(٢).

والختم في سبع هو فعل أكثر السلف وهو أوسط الأمور وأحسنها وهو فعل أكثر الصحابة ، والتحزيب قراءة القرآن كل أسبوع من أجل أن يتقارب وقت القراءة التي هي سببٌ لقوة الحفظ وفهم معانيه هي الأحسن كلما تقاربت أوقات القراءة كل ما قوي الحفظ والضبط .

وكان أكثر السلف يختمون كل سبعة أيام وأحيانًا كل ثلاثة أيام لعلمهم أن أكثر من هذه المدة يؤدي إلى نسيان الألفاظ والمعاني ، ومن ثم ينقص الإيمان والعمل الصالح ويذهب الأنس بالله وتحصل وحشة لفراق القرآن وحفظ الألفاظ ، قد يكفيه شهر أو أقل لكن فهم المعاني لابد له من التقارب ليحصل الفهم والتأثر ، والناس يختلفون في التحزيب حسب قوة الإيمان

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٤٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦١٦٥)، وأخرجه أبي داود برقم: (١٣٩٣).

والأبدان والأفهام لكن فعل الصحابة والسلف أحسن منفعة، كما قال السلف « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » . متفق عليه[1].

والأولى والأحسن هو السنة في تحزيب القرآن وتقسيمه على السور بأن تقرأ السورة في الليلة الواحدة كاملة وهذا هو السنة وعليه عمل الصحابة والتابعين أن يكون التقسيم موافقًا أو متوافقًا مع نهايات السور .

وعلينا أن ننوي القيام بالقرآن كاملًا في كل أسبوع حفظًا ، وفي ليل مع الجهر والترتيل والترسل والتدبر ليكتب الله لنا أجر النية ، ثم نبدأ الحفظ والتدبر بالتدريج والأسهل والأيسر أن نبدأ بجزء عم ونقسمه إلى سبعة أقسام كل ليلة نقرأ بجزء ، أو تكون البداية بالمفصل نحزبه سبعة أحزاب لكل يوم من أيام الأسبوع حزب كما سبق ، ثم نزيد على هذا المقدار بالتدريج بنفس الطريقة والمقدار بحيث نختم المقدار الجديد كل أسبوع حتى يثبت ويرسخ في الذهن .

- **وكم نعطي من الوقت لقراءة القرآن وتدبره كل يوم ؟ .**

نعطيه ما يستحقه من الوقت كما ورد في القرآن : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ١-٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١-٢]. أي كثيرًا .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٣٣).

وما هو حد الكثير ؟

قال الله عز وجل: ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل: ٣-٤].

والليل غالبًا اثنتا عشر عشرة ساعة نصفه ست ساعات وثلثه أربع ساعات .

وأما خطوات تحزيب وتدبر القرآن فتكون بتحديد مقدار الوقت اليومي وتحديد ما يمكن قراءته مع التدبر من السور أو الأوجه حفظًا أو قراءة في الصلاة أو غيرها مع القراءة والترتيل وتحديد الختمة كل أسبوع أو أسبوعين أو شهر حسب الرغبة والقدرة وفسحة الوقت ، وبذلك يهون على الإنسان ما كان صعب ويتيسر ما كان عسيرًا ويمتلئ القلب بالقرآن وتدبر معانيه وفقه أحكامه :﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ ﴾ [القمر: ١٧]

وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾ [الجمعة: ٢]

المفتاح العاشر :

الربط والذكر

والربط والذكر معناه أن يربط القاري أثناء قراءته وتدبره بين اللفظ والمعني ، وبين ما يجد في كتاب ربه ، وبين ما يعيش في حياته من مختلف الأحوال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[الأعراف:٢٠١] .

والربط أو التذكر أو التداعي الهاماتُ وفتوحاتُ يفتحها الله تعالى على من يشاء من عباده ، ويحصل عفوًا وأحيانًا يكون قصدًا ، بأن يربط القاري المعنى باللفظ ثم التكرار حتى يرسخ في الذهن ، ويثبت اللفظ مع المعنى في القلب : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

والربط ينقسم إلى قسمين :

الأول : ربط المعنى باللفظ ، بأن يحفظ الآية ومعناها .

الثاني : ربط العلم بالعمل ، بأن يفهم معنى الآيات ويطبق ما فهمه منها على واقع حياته ، بحيث يبقى القرآن حيًا في القلب تؤخذ منه الأحكام والتوجيهات والآداب في كل صغيرة وكبيرة :﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١- ١٦٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة:١-٢] .

- **والتكرار الذي يتحقق به الربط ، ويحصل به النفع ، نوعان :**

١- التكرار اليومي .

٢- والتكرار الأسبوعي .

وفي كل تكرار يحصل فهمٌ جديد وعلمٌ جديد وإيمانٌ جديد وتطبيقٌ جديد وعملٌ جديد ، والناس يختلفون في الحفظ وفهم المعاني وحسن التدبر ، كالأرض تختلف في الإنبات إذا نزل عليها ماء السماء :﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ﴾ [الحج:٥] .

هذه هي أهم مفاتيح تدبر القرآن لمن أراد أن ينتفع بهدي القرآن الكريم ، ويسعد بنور القرآن ، ويخشع لربه عند تلاوة كتابه أو سماعه .

وهذه المفاتيح هي حب القرآن الكريم واستحضار الأهداف من قراءة القرآن ، وقراءة القرآن حفظًا من قلبه ، والجهر بالقرآن والتغني بالقراءة ، وترتيل القرآن الكريم والتوقف والتكرار أثناء القراءة ، والقيام بالقرآن في الصلاة ، وأن تكون القراءة في صلاة الليل ، وأن يحزب القرآن ويقسمه ليسهل حفظه وفهمه وتدبره ، والربط بين ألفاظ القرآن ومعانيه ، وبين العلم والعمل به في كل حال .

فمن فتح القرآن العظيم بهذه المفاتيح العشرة ، فتح الله له أبواب الفهم والعلم والتدبر ، ووجد طعم الإيمان وحلاوة القرآن ، وحسن التعبد لربه بقلبه وقالبه :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ

ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

ومن استعمل هذه المفاتيح العشرة كان كمن استعمل منظار التقريب وتكبير الصور والأشياء ، فرأى الحق حقًا ثم اتبعه ، ورأى الباطل باطلًا ثم اجتنبه ، ووصل من المخلوق إلى الخالق ، وتجاوز الصور إلى المصور ، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة .

ومن أراد أن يتدبر القرآن ويتأثر به وينتفع به ، فعليه أن يهيئ الأسباب التي تعينه على فهمه وتدبره ، ولا يقتصر فقط على حسن نطق الألفاظ وما يحصل له من أجور القراءة من حسنات .

إن من حافظ على قراءة القرآن وواظب على ذلك كما تم بيانه ، فإنه بإذن الله سوف يحيي قلبه وتقوى ذاكرته ويزيد إيمانه وعلمه وعمله وتحسن أخلاقه ويرى نور القرآن في قلبه وعلى لسانه وجوارحه ، ويصبح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون :﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣] .

وأعظم هدية يقدمها والد إلى ولده ، مدرسُ إلى طلابه ، وأعظم إحسانٍ من إنسانٍ إلى أخيه ، أن يربيه على مفاتيح تدبر القرآن خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن ، وانتشر فيه الفساد والقلق والملل والانحراف والشهوات :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾[الأنعام: ١٥٣]

وقال الله عز وجل :﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء:١٠] .

وقال الله عز وجل :﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر/ ١-٣].

وبإذن الله سوف تنبت الأرض ، وتورق الأشجار ، وتنضج الثمار : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾[الأعلى:١٤-١٥] .

والقرآن العظيم هدى ورحمة ، وذكرى وموعظة ، وبيانُ وشفاءُ للقلوب والأبدان : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[الإسراء:٨٢] .

وقال الله عز وجل :﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ﴾[فصلت:٤٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾[آل عمران:١٣٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل:٨٩] .

وأولادنا وبناتنا أماناتٌ في أيدينا ، فعلينا أن نرغبهم بقراءة القرآن ، وتدبره وحفظه بأن نكون قدوة لهم في حسن تدبره والإكثار من تلاوته :﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف:١٧٠] .

وإذا وصلت إلى تدبر القرآن الكريم ، وتدبر السنة النبوية فهذا نورُ على نور ، يجمع بين العلم والعمل ، ويصلح به الظاهر والباطن ، ويكون به

جمال الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾[ص:٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ ﴾[التغابن:٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

لماذا نتدبر القرآن ؟ .

القرآن العظيم كتاب كريم فيه تبيان كل شيء، وبه أخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد ومن الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهداية : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

لهذا يجب على كل مسلم ومسلمة تدبر القرآن لما فيه من المصالح العظيمة والمنافع الجمة والأجور العظيمة .

فأولًا : نتدبر القرآن الكريم لنعرف الرب المعبود بأسمائه الحسنى وصفاته العلا وأفعاله الجميلة ، ونعرف عظمة خزائنه ونعرف عظمة ملكه وسلطانه ونعرف عظمة أمره وشرعه ونعرف عظمة وعده ووعيده وعظمة ثوابه وعقابه ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل :﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤] .

وقال الله عز وجل :﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] .

وبذلك نعبد الله حق عبادته إذا عرفناه بأسمائه وصفاته .

ثانيًا : نتدبر القرآن لنعرف أصل هذا الإنسان ، ونعرف الكرامات التي أكرمه الله بها ، ونعرف الخصائص التي خصه الله بها ، ونعرف الدين الحق الذي يجب أن يعمل به ليسعد في دنياه وأخراه ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء:٧٠] .

نتدبر القرآن لنعرف ماذا يريد الله من هذا الإنسان ؟ وماذا يعطيه ربه إذا آمن به ؟ وماذا يريد هو من ربه ؟ وما هي الأعمال والصفات التي يرضى الله بها عنه ؟ وما هي الأعمال والصفات التي يسخط الله بها عليه ؟

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر:١-٣].

وقال الله عز وجل :﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾[التين:٤-٦] .

وقال الله عز وجل :﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ

وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٣-١٤] .

ثالثًا : ونتدبر القرآن لنعرف الحق من الباطل ونعرف التوحيد من الشرك ، ونعرف الخير من الشر ، ونعرف الفضائل من الرذائل ، ونعرف أولياء الله من أولياء الشيطان :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

رابعًا : نتدبر القرآن الكريم لنعرف ما هي الواجبات الكبرى التي يجب على كل مسلم ومسلمة القيام بها لنصرة الدين وأركانه وإبلاغ دينه وتعليم شرعه والإحسان إلى خلقه ، ونعرف فضائل هذه الأعمال ليسهل علينا القيام بها ، ونعرف الأجور العظيمة لمن قام بها ، ونعرف الخسائر والعقوبات لمن تركها :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢]

وقال الله عز وجل :﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥] .

فتوعد الله لمن كتم هذا العلم العظيم بقوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩- ١٦٠] .

خامسًا : نتدبر القرآن العظيم ليزيد إيماننا ويقوى توحيدنا وتحسن أقوالنا وأعمالنا وأخلاقنا ، وذلك بالنظر والتفكر والتدبر للآيات الكونية والآيات الشرعية :﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦ -٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

ونتدبر القرآن لنعرف حياة الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله .

سادسًا : ونتدبر القرآن لنعرف حياة الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله هداية إلى عباده إلى الصراط المستقيم ، ونعرف طريقة حياتهم وصدق إيمانهم وجميل صفاتهم وإحسانهم إلى الخلق وكمال تقواهم وصبرهم في جميع الأحوال على من كذبهم وسبهم واستهزأ بهم من أقوامهم .

وكيف جعل الله العاقبة لهم وذلك لنقتدي بهم في الإيمان والتوحيد وأقوالهم الحسنة وأعمالهم الصالحة وأخلاقهم الكريمة والدعوة إلى الله وتعليم شرع الله والإحسان إلى الخلق :﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف:١١١] .

وقال:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم:٤١] .

وقال:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم:٥٤] .

وقال:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾[مريم:٥١] .

وقال:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾[مريم:٥٦] .

وقال:﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾[ص:٤٥-٤٧] .

سابعًا : نتدبر القرآن لنعرف عدو الإنسان الذي لا يغفل عنه أبدا وهو الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والدنيا التي تشغل العبد عن الدين والهوى

الذي يصد عن الهدى ، وإذا عرفنا العدو اتقيناه وحاربناه :﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾[فاطر:٦].

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ ﴾[يس:٦٠:٦١].

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾[يوسف:٥٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾[فاطر:٥].

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠ ﴾[القصص:٥٠] .

ثامنًا : نتدبر القرآن الحكيم لنعرف قيمة الدنيا التي نحن فيها ، ونعرف قيمة الآخرة التي سوف نصير إليها ، ونعرف ماذا يجب علينا أن نعمله في هذه الحياة الدنيا ؟ وماذا يجب علينا أن نتركه ؟ وماذا أعد الله في الدنيا والآخرة من النعيم والأمن والسعادة لمن آمن به ؟ وماذا أعد الله في الدنيا والآخرة من العذاب والضنك لمن كفر به وعصاه ؟ ليكون ذلك محركًا للقلوب بأنواع العبادات والطاعات وزاجرًا عن المعاصي والسيئات :﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾[الحديد: ٢٠-٢١] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾[فاطر:٥].

فهذه المعارف الكبرى من أعظم أمارات تدبر القرآن والقرآن كله يقرر هذه المسائل العظيمة الكبرى .

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم فقه هذه المعارف العظيمة والعمل بموجبها ومن تحصل على ذلك بفضل الله فقد دخل جنة المعرفة في الدنيا الموصلة إلى جنة الآخرة يوم القيامة : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾[التوبة:٧٢] .

مقاصد القرآن الكريم

من مقاصد القرآن الكبرى هداية الناس إلى الحق فقد أنزل الله القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] .

وقال عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة:١٨٥] .

ومن آمن بذلك وجب عليه أن يهتدي بالقرآن ويحكم أوامره في حياته ويتأدب بآدابه ويصدق أخباره ويمتثل لأوامره : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

فمن آمن بالقرآن وصدق بأخباره وعمل بأحكامه ، حصلت الهداية له والبركة في عمره وأعماله ، وفي جميع أحواله : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧ -١٨].

ومن مقاصد القرآن

تقرير التوحيد ونفي ضده وهو الشرك ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[النساء:٣٦] .

والقرآن كله دعوة للتوحيد ونهي عن الشرك ، فلابد لكل عبد من إخلاص العمل لله ، ولابد له من أدائه على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد من هذين التوحيدين .

توحيد القصد : وهو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك .

وتوحيد الإتباع : للرسول ﷺ.

إذا تحقق التوحيدان صحت الأعمال ، وإذا اختل أحدهما فإنه يختل من عمل العبد بقدر ما اختل من توحيده : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فأصل الدين كله عبادة الله وحده لا شريك له الرب العظيم المتفرد بالخلق والأمر المتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الحميدة والمثل الأعلى ، المتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة ، المتفرد بصفات العظمة والمجد وصفات الجلال والجمال ، المتفرد بالحكم والأمر القدري والشرعي والجزائي .

فمن له هذا الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد هو أحق من أخلصت له الأعمال الظاهرة والباطنة : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

فكل خير عاجل أو آجل فإنه من ثمرات التوحيد ، وكل شر عاجل أو آجل فأنه من ثمرات ضده : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢].

ومن مقاصد القرآن الكبرى

تقرير نبوة محمد ﷺ فقد قرر الله عز وجل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بطرق كثيرة متنوعة يعرف بها كمال صدقه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨].

فأخبر سبحانه أن رسوله صدق المرسلين ودعا إلى ما دعوا إليه وأن جميع المحاسن التي في الأنبياء جمعها الله في محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين وما نزهوا عنه من النواقص والعيوب فمحمد ﷺ أولاهم به .

وبين الله أن كتابه وشريعته اجتمع فيها الكمال والحسن الذي في الكتب السابقة وفاق عليها وهيمن عليها بمحاسن لم توجد في غيره وبين الله أن رسوله ﷺ نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا جالس أحدًا من علماء الكتب السابقة وأنه جاء بكتاب عظيم لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا كما قال سبحانه : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[الإسراء:٨٨] .

وقص الله عز وجل : في القرآن قصص الأنبياء قبله ، وذكر أخبار خمسة وعشرين نبيًا ورسولًا كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وغيرهم مما هو مذكور في القرآن ، وتارة يقرر نبوة النبي ﷺ بنصره على أعدائه وغلبته في الأرض وذلك من آيات نبوته بما هو عليه من الأخلاق الجميلة التي قامت التي فاقت نعوت جميع الخلق : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤] .

وتارة يقررها بما هو موجود في كتب الأولين من اسمه وصفاته وتارة يقررها بما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة ، وتارة يقررها بحفظه رسوله ﷺ وعصمته من الخلق مع تكالب الأعداء عليه ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[المائدة:٦٧] .

وتارةً يقرر رسالته ﷺ بذكر أعظم ما جاء به ، وهو القرآن العظيم الذي تحدى به الخلق أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة فعجزوا ، وهذا أكبر الأدلة على صحة رسالته : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ ﴾[الحجر:٨٧].

وتارة يقرر نبوته بما يظهر على يديه من المعجزات التي تدل على أنه رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وتارة يقرر رسالته ﷺ بعظيم شفقته على الخلق ورأفته ورحمته بالمؤمنين ، وأنه لم يوجد ولن يولد أحد أعظم رحمةً ورأفةً وبرًا وإحسانًا إلى الخلق منه ، فصلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال تعالى:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

- **ومن أعظم المقاصد للقرآن الكريم :**

تقدير المعاد ، فالله سبحانه وَتَعَالَى-ذكر في القرآن الأصول العظيمة وهي :

١- أمر التوحيد .

٢- وأمر الرسالة .

٣- وأمر المعاد .

وفصل ذلك أيما تفصيل وبينه أعظ بيان وقد ذكر الله عز وجل أمر المعاد بطرق متنوعة فبين أن الذي خلق الكون قادر على إعادته : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس:٨١-٨٢] .

وبين أن الذي خلق الإنسان قادر على إعادته إذا مات ، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقسم على وقوع المعاد في ثلاثة مواضع ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يونس:٥٣] .

وقوله : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾[سبأ:٣] .

وقوله عز وجل : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[التغابن: ٧-٩] .

ومنها إحياؤه جل جلاله الأرض بعد موتها فالذي أحياها سيحيي الموتى : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[الحج:٥-٧]

وقرر ذلك بكمال علمه وحكمته وأنه لا يليق به أن يخلق الأرض سدًى مهملين يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[المؤمنون:١١٥]

وكذلك قرر البعث بمجازاة المحسنين ومعاقبة المسيئين من الأمم السابقة وكيف أنجا الله الأنبياء وأهلك المكذبين لهم فهذا جزاء معجل ونموذج من جزاء الآخرة :﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٠] .

وكما أظهر الله قدرته في إحياء الأموات في الدنيا ، كما أحيا الله الألوف من بني إسرائيل : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾[البقرة:٢٥٩] . فالله بين أحوال البعث وكررها في القرآن لقوة وكثرة المنازع والمكابر والمعاند والمنكر ، فكل ما قوي الإنكار وكثر المعاند كرر الله إثبات المعاد رادعًا له .

وكذا أكثر الله من ذكر اليوم الآخر لأهمية اليوم الآخر لأن من آمن باليوم الآخر آمن وعمل بالطاعات واجتنب المعاصي والسيئات ، ومن لم يؤمن به فلم يعمل ؛ فلهذين السببين أكثر الله من ذكر البعث في القرآن ليقبل الناس على عبادة الله وحده لا شريك له واجتناب عبادة من سوا :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء:٨٧] .

ومن مقاصد القرآن الكبرى

ترغيب المؤمنين في كل عمل صالح وتحذيرهم من كل عمل سيء ، فطريقة القرآن في أمر المؤمنين وخطابهم بالأحكام الشرعية أحسن طريقة فقد أمر الله المؤمنين بالدعوة إلى سبيله بالتي هي أحسن وأكثر ما يدعو الله المؤمنين إلى الخير وينهاهم عن الشر بالوصف الذي منّ به عليهم وهو الإيمان فيقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وذلك ليحثهم على القيام بلوازم الإيمان ومكملاته وما يقتضيه الإيمان من وجوب امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والتخلق بكل خلق حسن .

فالأول : دعوة لهم ليكمله إيمانهم بشرائع الظاهرة والباطنة .

والثاني : دعوة الله إلى شكر النعمة الإيمان بالانقياد التام لأمر الله ونهيه .

وتارة يدعو المؤمنين إلى الخير وينهاهم عن الشر بذكر آثار الخير وعواقبه الحميدة العاجلة والآجلة ، وبذكر آثار الشر وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار:١٣-١٤] .

وتارةً يدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح بذكر نعمه المتنوعة ، وأن النعمة تقتضي منهم شكر من أنعم بها وشكرها هو طاعة من أنعم بها :﴿ ۞ وَلَقَدۡ

كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

وتارة يدعوهم إلى ذلك بالترغيب والترهيب وبذكر ما أعد الله للمؤمنين من الثواب ، وما أعد للكافرين والعصاة من العقاب ، وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

قال عز وجل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨] .

وتارةً يدعوهم إلى ذلك بذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله ، وما له من الحق العظيم على عباده الذين خلقهم ورزقهم وهداهم ، وأن حقه أن يقوموا بعبادته وحده لا شريك له فالعبادة بأنواعها كلها مقصودها تعظيم الله وتكبيره وحبه وتوحيده وطاعته وعبادته وحده لا شريك له :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢]

وتارةً يحثهم على ذلك ويرغبهم في الاقتداء بمن سبقهم من الأنبياء والرسل، ويحذرهم من التشبه بالكفار وأهل الغفلة والفسق لئلا يلحقهم من اللوم والعذاب ما لحق أولئك، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾[الحشر:١٨-٢٠] .

ومن أعظم مقاصد القرآن

أنه يقرر دعوة الكفار إلى الإسلام على اختلافهم بطرقٍ متنوعة ، فيدعوهم إلى الإسلام بذكر محاسن الدين ، وذكر محاسن النبي ﷺ، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ [الجمعة: ٢]

ويدعوهم تارةً إلى الإسلام بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلا وأفعاله الحميدة وذكر آلاءه ونعمه الظاهرة والباطنة ، ويبين لهم إن الملك الحق الخالق لكل شيء هو الذي يجب على العباد طاعته وعبادته وحده لا شريك له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وتارة يدعوهم بما يخوفهم به من عقوبات الدنيا وعقوبات الآخرة، ويذكر أخذه الأمم الكافرة بالعذاب المهلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢].

وتارةً يدعوهم إلى الإسلام ببيان ما في الأديان والمذاهب الباطلة من أنواع الشرور والعواقب الخبيثة ويحذرهم من طاعة رؤساء الشر والفساد ودعاة النار، ويبين ما في الأديان والمذاهب والمناهج الباطلة من القبح والسوء ليبين الحق من الباطل: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠].

ويدعوهم بالتي هي أحسن فإذا أصروا على العناد والمكابرة الظاهرة توعدهم بالعقوبات الصوارم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال:٣٦].

وبين الله عز وجل في القرآن أن الكفار لم يعرضوا عن الدين جهلًا وضلالًا وإنما ذلك جحودٌ وعنادٌ ومكابرة: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

ويبين القرآن الأسباب التي منعت الكفار من إتباع الهدى وأنها دياثاتُ وشهواتُ وأغراضُ نفسية: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران:١٤].

وبين أن الكفار لما آثروا الباطل على الحق طبع الله على قلوبهم وختم عليها وسد عليهم طرق الهدى عقوبة لهم على أعراضهم عن الدين ، وتوليهم الشيطان وتخليهم عن ولاية الرحمن ، فولاهم ما تولوا وطبع على قلوبهم فلا يدخل فيها خير ولا يخرج منها خير : ﴿ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥ ﴾ [النساء: ١٥٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾ [البقرة:٦-٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١ ﴾ [الأعراف:١٠١] .

ومن مقاصد القرآن العظيم إن الله عز وجل بين في القرآن أنواع الدلالات التي هي من أنفع أنواع العلم ، وإن الدلالات ثلاث :

١- دلالة مطابقة .

٢-دلالة تضمن .

٣-دلالة التزام .

فدلالة المطابقة : هي دلالة اللفظ على جميع معناها .

ودلالة التضمن : دلالة اللفظ على جزء من معناه .

ودلالة الالتزام : دلالة اللفظ على لازم معناه .

ومثال ذلك : إذا قلت هذه دار ، أو قلت هذا جبل ، أو هذا بحر ، ونحو ذلك .

فدلالة هذه الكلمة على ما في الدار من الغرف والأبواب والحمامات دلالة مطابقة ، ودلالتها على كل غرفة بمفردها دلالة تضمن ، ودلالتها على أن لهذه الدار بانيًا دلالة التزام .

وهذه القاعدة العظيمة من انفع أبواب العلم ، والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع إن يفهم المسلم ما دل عليه اللفظ من المعاني ، ثم يفهم ما يترتب عليها وما يتفرع منها وما يجنى عليها وما يشترط لها وما يتوقف عليها ، فأن القرآن حق ولازم الحقِ حق ، وما يتوقف على الحقِ حق ، وما يتفرع على الحقِ حق ، ومن عرف هذا انفتحت له أبواب العلوم كلها :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وقال ﷺ:« مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »أخرجه البخاري(١) .

فمثلًا في أسماء الله الحسنى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: ١٦٣] .

فاسم الله الرحمن الرحيم يدل بلفظه على وصف الله بالرحمة المطلقة ، وسعة رحمته لجميع خلقه ، وأن الرحمة صفةٌ ذاتية لا تنفك عنه وهذا الوصف يدل بلزومه على كمال حياة الله وقدرته وعلمه وإحاطته ونفوذ مشيئته وكمال حكمته ، ثم استدللت بسعة رحمته على أن شرعه نورٌ رحمةٌ وهدى ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

وقال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣١١٦).

ولهذا يعلل الله كثيرًا من الأحكام الشرعية برحمته وإحسانه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾[آل عمران:١٣٢] .

والأمر بالصلاة والزكاة والصوم مثلًا أمرُ بها ، وأمرُ بما لا يتم الواجب إلا به ، وكذا الأمر بالجهاد من لازمه الأمر بكل ما لا يتم الجهاد إلا به ، وكذا الأمر بإعداد ما نستطيع من قوة فإنها تتناول كل قوة عقلية وبدنية وسياسية ومالية وأسلحة ، وكل أمر ينفع الناس القرآن يأمر به ولا يمنعه بل يدل عليه لمن أحسن الاستدلال به .

وهذا من آيات القرآن وأكبر براهينه ووسائل الأمر المشروع مشروعة ، فالأقلامُ والأوراقُ للكتابة ، والمسجل والكهرباء والهاتف وغيرها وسائل لغيرها .

فالوسائل لها أحكام المقاصد ، أما البدعة فهي مقصودة لذاتها كمن تعبد لله بصلاة أو صوم على خلاف أمر الشرع ، والقرآن لا يمكن أن يعارض بعضه بعضًا : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾[النساء:٨٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾[النور:٦٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ [النساء:١١٥] .

ومن مقاصد القرآن

أنه يحاج أهل الأديان الباطلة بأحسن أساليب الإقناع ، كمحاجة الرسل مع أممهم ، وكيف دعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ؛ لأنه المتفرد بالخلق والرزق والملك الذي وهب للخلق أصناف النعم ، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [النحل:٧٨] .

وأنه سبحانه المتفرد بدفع النقم ، وأن أحدًا من الخلق ليس يقدر على نفعٍ ولا دفعٍ ولا ضرٍ ، وأنه بمجرد معرفة العبد بذلك ينقاد للدين والإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه ، وأنه الطريق الوحيد لشكر النعم : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾ [يونس:٣١-٣٢].

فالله عز وجل يبين عظمته وجلاله وجلالته ، الله عز وجل يبين عظمته وكبريائه وأنه الخالق لكل شيء فليعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٖ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ

فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:١٠-١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر:٦٢ -٦٣] .

فمن هذا شأنه وهذا خلقه وهذا شرعه ، هو الذي يجب أن يعبده الخلق حده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

وهذا الأصل كبير وكثير في القرآن ؛ لأن الله يقول للناس انه لا يليق بكم أن تجعلوا لمخلوق العبد الفقير العاجز المحتاج من كل وجه بعض حقوق الرب الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الحميدة ، الخالق الغني القادر من كل وجه ، ويتحداهم أن يأتوا بكتابٍ أو شريعة أهدى وأحسن من هذه الشريعة ، أو يعادلوا القرآن فيأتوا بمثله إن كانوا صادقين :﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل:١٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿ ٧١ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٧٢ ﴾[الأنعام:٧١-٧٢] .

ويأمر الله عز وجل : نبيه بمباهلة أهل الكتاب ممن ظهرت مكابرته وعناده ، فينكثون عنها لعلمهم أنهم لو باهلوه لهلكوا : ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ٦٠ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ٦١ ﴾[آل عمران: ٦٠-٦١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٢٣ ﴾[هود:١٢٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ٦٥ ﴾[مريم:٦٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٩ ﴾[الحديد: ٩]

ومن مقاصد القرآن

أن حذف المتعلق يفيد تعميم المعنى المناسب له ، فكل فعلٍ متى قيد بشيء تقيد به ، أما إذا أطلق فأنه يفيد عموم المعاني النافعة ، ومن ذلك ورد في القرآن في عدة آيات : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، وهكذا مما ورد مطلقًا .

فيدل ذلك على أن المراد لعلكم تعقلون عن الله كل ما أرشدكم إليه ، وكل ما علمكم إياه ، وكل ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة .

لعلكم تذكرون جميع مصالحكم الدينية والدنيوية ، لعلكم تتقون ما يجب اتقاءه من الذنوب والمعاصي ، فقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[البقرة: ١٨٣] .

يفيد كل ما قيل في حكمة الصيام ، لعلكم تتقون كل ما حرم الله ، لعلكم تتقون ما حُرم على الصائمين من المفطرات ، لعلكم تتصفون بصفة التقوى ، لعلكم تتقون كل شيء من الكفر والفسوق والعصيان ، لعلكم تتقون غضب الله وسخطه إذا عصيتموه ، لعلكم تتقون عذاب جهنم وذلك بفعل الأوامر واجتناب النواهي .

وكذلك ما أطلقه الله كلفظ المؤمنين، الذين آمنوا ، يدخل في جميع ما يجب الإيمان به من أركان الإيمان به وشعبه ، وكذلك لفظ الإحسان ، وأحسنوا والمحسنين :﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾[الرحمن:٦٠] .

يدخل في ذلك كله الإحسان في عبادة الخالق ، بأن يعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فانه يراك ، ويدخل فيه الإحسان للخلق بجميع وجوه الإحسان بالدعوة والتعليم والمال والجاه والأقوال والأعمال .

وكذلك لفظ التكاثر والخُسر والدلال والهدى وغيرها ، وكذلك لفظ الصدق والإخلاص والصبر ، أطلقت كل هذه الألفاظ لتعم كل الأنواع المتصلة بها ، وكذلك الحكم المعلق بوصف يدل عليه ذلك الوصف ، ويدل على أنه يعم بعموم هذا الوصف ، وأنه يقوى بقوة ذلك الوصف ويضعف كلما ضعف ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ﴾[الحجر: ٤٥] . وغيرها من الآيات .

- **ومن مقاصد القرآن :**

إنشاء اليقين على عظمة الله ، وعظمة كتابه ، وعظمة دينه وشرعه ، وعظمة وعده ووعيده .

فالقرآن العظيم كتابٌ كريم وكتابٌ مجيد وكتابٌ عزيز وكتابٌ حكيم وكتابٌ عظيم ، يجب علينا أن نتلقاه بحسنِ القراءة والاستماع والتدبر والتفكر وكمال اليقين ، وكتاب رب العالمين ليس كمثله شيء من الكتب ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[المائدة:١٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

فلا تعد مستمعًا حتى تطبق ما سمعت : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ ﴾ [التحريم:٤].

والله عز وجل : خلق الدنيا ونورها بالقرآن ، فمن لم يكن من أهل القرآن فهو في الظلمات : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[الأنعام:١] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾[الكهف:١] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] .

فعلى المسلم أن يجعل له قراءة تعبد لتحصيل الجر والثواب ، فيقرأ كل يوم ثلاثة أجزاء مثلًا فكل حرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها ، ويجعل له قراءة تفكر وتدبر ، ولو يقرأ كل يوم آية واحدة ينتفع بها ويذكر الناس بها ، ويعمل بها وتحمله على طاعة الأوامر واجتناب المناهي .

فإن كنت خائفًا فأفزع إلى قوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾[آل عمران:١٧٣-١٧٤] .

وإن كنت أيها المسلم مهمومًا فافزع إلى قوله سبحانه : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء:٨٧-٨٨] .

وإن كنت راغبًا في الولد فأفزع إلى قوله سبحانه : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٨٩-٩٠] .

إن كنت تخاف مكر أحدًا فأفزع إلى قوله سبحانه : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[غافر:٤٤-٤٦] .

وإن كنت تخاف من البلاء فأفزع إلى قول سبحانه : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤] .

فالقرآن العظيم ينشئ اليقين على ذات الله وعلى أسمائه وصفاته وأفعاله وعلى كتابه وعلى أوامره ، ومن تدبر القرآن وجد هذه البركات وانتفع بها ، فهو هدي وشفاء وسعادة: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

ومن أراد طلب الدنيا ليعف نفسه فليفزع إلى قول سبحانه : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الكهف: ٣٩-٤٠] .

فلا تكون أيها المسلم مستمعًا للقرآن إلا إذا طبقت ما سمعت من أحكام ، ورب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه ، وكلما تذللت لله رفعك الله ، وكلما تواضعت لله رفعك الله ، ففي درس بدر افتقار إلى الله ونصر من الله ، فإيمان كامل يثمر نصرُ كامل : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٣] .

وفي درس حنين أدب الله المؤمنين ، كما قال سبحانه : لهم حين أعجبوا بالكثرة والقوة : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ

أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة:٢٥- ٢٧] .

فدرس بدرٍ أليم جدًا ودرس حنين خطير جدًا ، فالمؤمن الصادق في قلبه تعظيم الله وتعظيم كتابه ، وفي قلبه حب الله وحب كتابه ، وفي قلبه خوف من الله ، ففي الآيات الكونية يرى المؤمن عظمة الله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤] .

وبرؤية النعم يحصل في القلب حب الله : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤]

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣] .

وبرؤية العقوبات والمصائب يخاف العبد من الله : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

فالمؤمن الحق هو من يحب ربه ويحب من يحبه ويحبب الناس إلى ربه بذكره وذكر نعمه ، ويحب العمل الذي يقربه إلى ربه ، فلتكون محبوبًا عند الله ذكر الناس بآلاء الله ليعظموه وذكرهم بنعمه ليحبوه ويشكروه ، وذكرهم ببلاء الله ليخافوه ويهابوه ، : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن:١٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥ ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

وكل عبادة وكل طاعة وكل عملًا صالح هو ذكر لله ، ومن ذكر الله ذكره : ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

فذكر الله أكبر ما في الصلاة وذكر الله لك أعظم من ذكرك له ، فإن ذكرته في نفسك ذكرك في نفسه وإن ذكرته في ملأ ذكرك في ملأٍ خير منه ، يذكرك سبحانه فيهبك كل خيرٍ وسداد في القول والعمل ، والمؤمن بحاجة عظيمة إلى إكثار الذكر وتكراره في الغدو والآصال قبل الذهاب إلى العمل وعند العودة من العمل : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ ﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

وإذا ذكرت الله فأعلم أن الملائكة لا يغفلون عن الذكر أبدًا ، فكن ذاكرًا ولا غافلاً : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ٢٠٦ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[الكهف:٢٨]

القرآن العظيم كتابُ عظيم لا اختلاف فيه ولا تضاد ، وهو في غاية البلاغة والفصاحة ، فقد أخبر الله في القرآن الكريم أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وفي بعضها يذكر الأسباب الموجبة للهداية أو الضلال من جهة العبد ، فإذا أخبر الله أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء أو يعز من يشاء ويذل من يشاء أو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ونحو ذلك .

فهذا يدل على كمال توحيده ، وأنه الملك المتفرد بخلق الأشياء وتدبير الأمور ، وأن خزائن جميع الأشياء بيده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لأنه العليم الخبير ، يهدي ويضل ويعطي ويمنع ويبسط ويقبض ، فيقتضي ذلك من العباد أن يسألوه وحده طلب ما يحبون ودفع ما يكرهون ، وأن يتوكلوا عليه وحده لا شريك له ، ولا يسألوا أحدًا سواه:﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾[الحجر:٢١] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾[آل عمران:٢٦] .

وأحيانا يذكر أسباب ذلك ليعرف عباده بالأسباب والطرق التي يحبها فيسلكون النافع ويدعون الضار ، كقوله سبحانه :﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ ﴾[الليل:٤-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة: ١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[البقرة:٢٦] .

الله يهدي من كان قصده الخير واتبع رضوان الله ويضل من فسق عن طاعة الله ، وهكذا يذكر أحيانًا أنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، كما قال سبحانه : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾[البقرة:٢٨٤] .

وأحيانًا يذكر الأسباب التي تنال بها المغفرة والرحمة ، ويستحق بها العذاب ، كقوله سبحانه : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[طه:٨٢] .

وكقوله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وكذا أخبر سبحانه : أنه يرزق من يشاء ، وأحيانًا يذكر أسباب الرزق ، وأنه بسبب لزوم طاعة الله ورسوله ، والسعي الجميل مع لزوم التقوى : ﴿ وَمَن

يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق:٢-٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

وانتظار الفرج والرزق كقوله سبحانه : ﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق:٧] .

وكثرة الذكر والاستغفار : ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح:١٠-١٢] .

- **ومن مقاصد القرآن الكبرى :**

أولاً: بيان عظمة الله بذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وعظمة ملكه وسلطانه ، وختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم ، وذلك يدل على أن الخلق والأمر والشرع كله صادر عن أسماء الله الحسنى وصفاته العلا وأفعاله الحميدة ومرتبط بها ، وهذا بابُ عظيم من معرفة الله ومعرفة أحكامه القدرية والشرعية والجزائية وأنها موجب أسماء الله وصفاته .

فنجد مثلًا آيات الرحمة مختومة بأسماء الرحمة ، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقوة والقدرة والحكمة والعلم والقهر ، وآيات الخلق والتدبير مختومة بأسماء العلم والقدرة والقوة ، كقوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٩] .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وذلك يدل على إحاطة علم الله بالسموات والأرض وما فيهما من العوالم العظيمة ، وأنه قادر على ذلك كله وأنه حكيم من حيث وضعها لعباده وأحكم صنعها وصنع ما فيهما من المخلوقات وأحسن خلقها على أكمل صورة ونظام : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل: ٨٨]

وأن خلقه المخلوقات العظيمة من أكبر الأدلة على علمه الواسع ، فكيف يخلقها وهو لا يعلم ؟

قال الله عز وجل: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك: ١٤] .

وكذا الملائكة لما راجعوا الله في جعل آدم خليفة في الأرض ، فاظهر الله علم آدم لهم فقالوا : ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾[البقرة: ٣٢].

فاعترفوا لله بسعة علمه وكمال حكمته وأنهم مخطئون ، وكذا ختم الله بعض الآيات بالتواب الرحيم بعد ذكر رحمته ومغفرته وهدايته وتوفيقه وحلمه ، ليدل على أنه لما كان هو التواب الرحيم أقبل بقلوب عباده التائبين إليه ووفقهم للأعمال الصالحة التي يتوب عليهم ويرحمهم بها ، كما غفر لهم ورحمهم فتاب عليهم بتوفيقهم للتوبة والأسباب ، ثم تاب عليهم ثانية حين قبل متابهم وأجاب سؤالهم ، وكذا لما ذكر الله النسخ في قوله : ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[البقرة: ١٠٦] .

فختمه للآية باسمه القدير

ليدل على كمال قدرته وعلمه وحكمته وتصرفه الكامل في ملكه وعباده ، وأنه يحكم بين عباده وفي ملكه بأحكام القدرية والشرعية والجزائية ، فلا حجر عليه في شيء من ذلك : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾[الملك: ١] .

وكذا قوله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝١١٥ ﴾[البقرة: ١١٥] .

ليدل على أنه واسع الفضل واسع الملك ، فجميع العالم العلوي والسفلي داخل في ملكه وعلمه محيط بجميع ملكه الواسع ومحيط بجميع المكان والزمان والكل ملكه ، يصرف عباده إلى أي جهة شاء لعظمة قدرته وسعة ملكه وكمال حكمته .

وأحيانًا يذكر الله عز وجل أسمائه الحسنى ولا يصرح بذكر أحكامها وجزائها ، لينبه عباده أنهم إذا عرفوا الله بذلك الاسم العظيم عرفوا ما يترتب عليه من الأحكام ، كقوله سبحانه : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٠٩ ﴾[البقرة: ٢٠٩] .

لم يقل عقوبتكم كذا بل صرح باسمه العزيز الحكيم ، ليدل على أن من عرف عزه الله وقهره وقوته وغلبته ، وعرف حكمته في وضع الأشياء موضعها ، أوجب له ذلك الخوف من البقاء على الذنوب والزلات لأن من حكمته إثابة من يستحق الثواب وعقوبة من يستحق العقاب المصر على ذنبه مع علمه ، وأنه لا يخرج أحدُ عن حكمه وجزاءه لكمال عزته وقهره .

وكذا قوله عز وجل : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾: [المائدة:٣٨].

، أي عز وحكم فقطع يد السارق .

وكذا حتى نهاية المواريث بقوله : ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾[النساء: ١١] .

ليدل على أنه العليم الحليم الذي يعلم ما لا يعلمه العباد ، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها ، ولو ترك الأمر للناس لدخل في القسمة الهوى والجهل والظلم والفوضى .

ولهذا فكل من قدح في شيء من أحكام الله الشرعية ، فهو قاده في علم الله وفي حكمته ، ولهذا يذكر الله العلم والحكمة بعد ذكر الأحكام ، وكذا يذكرهما الله عز وجل في آيات الوعد والوعيد ليبين للعباد أن الشرع والثواب والعقاب مربوطُ بحكمة الله وعلمه ، وكذا قوله سبحانه : ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾[الحج: ٥٩] .

الأولى ختمها بالعلم والحلم يقتضي علمه بنياتهم الجميلة وأعمالهم الصالحة فيجازيهم على ذلك بالفضل العظيم ، ويعفو ويحلم سيئاتهم فكأنهم ما فعلوها .

وختم الثانية بالعفو الغفور: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[الحج: ٦٠].

فيدل على انه أباح العقوبة بالمثل وندب إلى مقام الفرد وهو العفو .

وختم الآية الثالثة بالسميع البصير :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾[الحج: ٦١] .

فيدل على سعة سمعه لجميع الأصوات وبصره بجميع حركات المخلوقات على اختلاف الأوقات .

وختم الآية الرابعة بالعلي الكبير :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج:٦٢] .

ليدل على أن علوه المطلق وكبرياءه وعظمته ومجده تضمحل معها المخلوقات كلها ويبطل معها كل ما عُبد من دون الله ، وأنه لا يستحق العبادة وحده إلا العلي الكبير سبحانه .

وختم الآية الخامسة باللطيف الخبير ، كما قال سبحانه :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الحج: ٦٣] .

ليدل على سعة علمه وخبرته بالظواهر والبواطن ، وبما تحتوي عليه الأرض من أنواع البذور وأصناف النبات ، وأنه سبحانه : لطيف بعباده حيث اخرج لهم أصناف الرزق والنبات والثمار بما أنزله من المساء من الماء .

وختم الآية السادسة بالغني الحميد: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾[الحج:٦٤].

ليدل على أن خلقه للسموات والأرض وما بينهم من المخلوقات ليس لحاجة منه لها ولا ليتكمل بها فأنه الغني المطلق الحميد الكامل ، وليعلم خلقه على أنه الغني عن ما سواه وهم جميعًا فقراء إليه من كل وجه ، وأنه الحميد في أقداره وشرعه وجزائه ، المحمود على جميع أسمائه وصفاته وأفعاله ، فله الحمد المطلق :﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧ ﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧] .

وختم الآية السابعة بالرؤوف الرحيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٦٥ ﴾ [الحج:٦٥] .

ليدل على أن من رأفته ورحمته تسخير المخلوقات لبني آدم ، وحفظ السماوات والأرض وإبقاءها لألا تزول فتختل مصالحهم ، وسخر لهم البحار والأنهار لتجري في مصالحهم ومنافعهم ، فرحمهم حيث خلق لهم السكن وأودع فيه كل ما يحتاجونه .

وفي سورة الشعراء ختم الله قصة كل نبي من الأنبياء بقوله : ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩** ﴾ [الشعراء: ٩] .

ليدل على أن نجاة كل نبي وإتباعه برحمة الله ولطفه ، وإهلاك المكذبين له ، وذلك من آثار عزته ، وأنجى كل رسول وأتباعه بكمال قوته وعزته ورحمته ، وأهلك المكذبين لهم بكمال عزته وحكمته وقوته .

وفي سورة المائدة قال عيسى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١١٨ ﴾ [المائدة: ١١٨] .

ليدل على كمال عزته وحكمته ، لأن المقام ليس مقام استعطاف واسترحام ، وإنما هو مقام غضبٍ وانتقام ممن اتخذوا إلهًا مع الله ، ومن اللطف مقامات الرجاء أن يذكر الله أسباب الرحمة وأسباب العقوبة ثم يختمها بما يدل على الرحمة ، في قوله سبحانه : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٣] .

ليدل على أن رحمته سبقت غضبه ، وصار لها الظهور على الغضب ، ولهذا يخرج الرحمن من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، فهؤلاء يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بكمال رحمته : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة:١٤٣] .

القرآن كله محكمُ باعتبار وكله متشابهُ باعتبار ، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث ، وقد وصف الله القرآن الكريم بكل واحدة من هذه الأوصاف ، فوصفه بأنه محكم بآيات كثيرة ، كما قال سبحانه : ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود:١] .

وقوله سبحانه : ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [يس:١-٢] .

فالقرآن في غاية الإحكام والإتقان ، فأخباره كلها حق وصدقُ لا تناقض فيها ولا اختلاف ، وأوامره كلها خيرُ وبركة وعدل وصلاح ، ونواهيه زاجرة عن الشرور والأضرار والأعمال السيئة والخلاق الرديئة ، فهذا إحكامه وإتقانه فأخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل :﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام:١١٥].

صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام .

ثانيًا : وصف الله كتابه بأنه متشابه، في قوله سبحانه : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ [الزمر:٢٣] .

فالقرآن كله متشابهُ في الحسن والصدق والحق ، وألفاظه أحسن الألفاظ ومعانيه أحسن المعاني التي تزكي العقول وتطهر القلوب وتزين الجوارح بأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .

ثالثًا : وصف الله القرآن بأن بعضه محكم وبعضه متشابه ، في قوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران:٧] .

فبعض القرآن محكم وبعضه متشابه ، والراسخون بالعلم يردون المتشابه إلى المحكم فيصير كله محكمًا ، ويقولون كُلُ من عند ربنا وما كان من عند الله فلا تناقض فيه ، فما اشتبه في موضع فسره الوضع الأخر المحكم .

فحصل العلم وزال الإشكال ولذلك أمثلة ، مثل يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، تعز من تشاء وتذل من تشاء ، فهدايته وإضلاله وعزته وإذلاله ليس جزافًا من غير سبب كما يظنه البعض ، فإذا رددنا المتشابه إلى المحكم الذي يدل على عن الهداية لها أسباب من العبد يتصل بها ، كما في قوله سبحانه : ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[المائدة: ١٦] .

وإن إضلاله لعبده لها أسباب من العبد وهو توليه الشيطان ، كما قال سبحانه : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأعراف: ٣٠] .

وقوله عز وجل : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥] .

فالآيات والنصوص الشرعية كلها حق ويجب على المسلم تصديقها والإيمان بها كلها ، فهي متكاملة لا متعارضة ، وما أجمل في موضع فسرته آياتٌ أخرى في موضع أخر ، والقرآن كله محكم أقواله كلها صدق

وأحكامه كلها عدل ، ليس فيها كذب ولا ظلم كلها يسر ليس فيها مشقة ، وهو كتابُ متشابه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والكمال والجودة في الأسلوب فجمع بين الأمرين الحكام والتشابه ، والخير في الأخبار يكون بمخالفة الصدق والخير في الأحكام يكون بمخالفة العدل ، وكتاب الله كله صدق وعدل : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام: ١١٥].

والحكمة في وجود المحكم والمتشابه في القرآن الابتلاء والاختبار ، ليحي من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ، فمن دعا ميتًا أو صنمًا وطلب منه شفاء مريض أو تحصيل رزق ثم حصل له ما طلب .

القرآن الكريم يجرى في إرشاداته مع الزمان والأحوال في أحكامه الراجعة إلى العرف والعادة ، فالله مثلًا أمر عباده بالمعروف ، وهو المعروف حسنه شرعًا وعقلًا وعرفًا ، ونهاهم عن المنكر وهو المعروف قبحه شرعًا وعقلًا ، وأمرهم كذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووصفهم بذلك، فقال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾[آل عمران:١١٠] .

فما كان من المعروف لا يتغير بالأحوال والأوقات كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من الشرائع الراتبة بكل وقت ، والواجب منه على الأخريين كالواجب على الأولين من هذه الأمة ، وكذا ما كان منهم قد لا يتغير بتغير الأوقات والأحوال كالشرك والكفر والقتل والزنا وشرب الخمر ، وغيرها مما نهى الله عنه ، فذلك ثابت في كل مكان وزمان لا يتغير ولا يختل حكمه أبدًا .

أما ما يختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال ، فالله عز وجل يرد الناس إلى العرف والعادة والمصلحة المتعينة في ذلك الوقت ، فمثلًا أمر الله بالإحسان إلى الوالدين والأقارب وسائر الخلق بالأقوال والأعمال ، ولم يعين شيئًا خاصًا من الإحسان والبر ليعم كل ما تجدد من الأحوال والأوصاف :﴿ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء:٢٣] .

وكذلك ضده من العقوق والإساءة ينظر فيه إلى العرف ، وكذلك صلة الأرحام أمر الله بها أمرًا مطلقًا يرجع فيه إلى ما سماه الناس صلة ؛ لأن المقصود بالصلة زوال ما في القلوب من التباغض وائتلافها ، وكذلك المعاشرة بالمعروف ، وكذا : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٨] .

يرجع فيه إلى العرف في كل بلد وحال ، وكذا : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف:٣١] .

أمر الله عبادة بالأكل والشرب واللباس ولم يعين شيئًا من الطعام أو الشراب أو اللباس ، لأن ذلك يختلف بحسب الحال والزمان والمكان ، وكذا : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

فأمر بالأعداد للقوة والسلاح مطلقًا ولم يحدد نوعًا ليشمل كل قوة وسلاح حسب المكان والزمان والحال .

وهكذا لفظ التجارة ليشمل كل تجارة أجازها الشرع وصاحبها الرضا ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ

ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

[الجمعة:٩-١٠] .

ومن مقاصد القرآن الكريم

أنه بين كل شيء ، فالقرآن العظيم تبيانًا لكل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

[النحل:٨٩] .

فإن القرآن اشتمل على أعظم القصص وأعظم العلوم وأحسن الشرائع وأوصل المعاني إلى القلوب بأيسر شيء وأحسنه ، ومن ذلك ضرب الأمثال لتوضيح المعاني النافذة بالأمور الحسية ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي عين .

وهذا من عناية الله بعبادة وإيصال العلوم النافعة لهم بأيسر شيء ، فقد مثل الله العلم والوحي في القلوب كالغيث النازل من السماء وشبه قلوب الناس بالأراضي والأودية ، وأن عمل العلم والوحي في القلوب كعمل الغيث والمطر في الأراضي .

فمنها أراضي طيبة تقبل الماء وتنبت الكلأ والعشب الكثير كمثل القلوب التي تفهم عن الله ورسوله وحيه وكلامه وتعقله وتعمل به وتتعلمه وتعلمه بحسب حالها كالأراضي بحسب حالها ، ومنها أرض تمسك المال وتحفظه ولا تنبت الكلأ فينتفع الناس بالماء الذي تمسكه فيشربون ويسقون مواشيهم وأراضيهم ، كالقلوب التي تحفظ الوحي من القرآن والسنة وتلقيه إلى

الأمة ، ولكن ليس عندها الدراية والمعرفة مثلما عند ما قبلها ، فهؤلاء على خير ولكنهم دون أولئك .

ومنها أراضي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ كمثل القلوب التي لا تنتفع بالوحي لا حفظًا ولا علمًا ولا عملًا ولا تعليمًا ، وكذلك شبة الله كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بأذن ربها .

فشجرة التوحيد في القلب ثابتة تؤتي أكلها كل وقت من النيات الطيبة والأقوال الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة ، وهي صاعدة كالشجرة إلى السماء لإخلاص صاحبها وعلمه ويقينه على ربه .

ومثّل الله من اتخذ مع الله إلهًا آخر يتعزز به من المشركين ويزعم أنه ينفعه ويدافع عنه ويدفع عنه ما يضره ، شبهه في ضعفه ووهنه بالعنكبوت التي بيتها من أضعف البيوت فازداد باتخاذه ضعفًا على ضعف ، كذلك المشرك ما زاده باتخاذ وليا ونصيرًا من دون إلا ضعف ؛ لأنه قلب قطع عن الله القوي وتعلق بالمخلوق الضعيف ، فأزداد وهنًا على وهن ، فانه اتكل عليه وظن حصول النفع منه فخاب ظنه وأنقطع عمله : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤١] .

إما المؤمن فانه قوي بتوحيده وإيمانه ، قويًا باتصاله بالقوي القادر سبحانه : الذي بيده كل شيء : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

ومثّل الله أعمال الكافر بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماءً فإذا وصله إليه لم يجده شيئًا بل وجده الله عنده فوفاه حسابه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ

بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[النور:٣٩] .

ومثّل الله كذلك أعمال الكافر بالرماد الذي جاءته الرياح فذرته فلم تبقِ منه شيئًا : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

وهذا مناسب لحال الكافر وبطلان عمله ، فإن كفره ومعاصيه بمنزلة النار المحرقة ، وعمله بمنزلة الرماد والسراب الذي لا ينفع أو لا حقيقة له .

ومن مقاصد القرآن

أن الله عز وجل أرشد عباده في القرآن إلى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وبين أن إرشاده ينقسم إلى قسمين :

الأول : أخبار فيها موعظة وعبرة وأوامر ونواهي فيها حكمة ورحمة وأكثر إرشادات القرآن إلى هذا النوع : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

الثاني : إرشاد العقول إلى استخراج الأشياء النافعة من أصولٍ معروفة من جماد ونبات وحيوان وغيرها ؛ لإعمال الفكر للاستفادة منها و الاعتبار بها ، كالنظر والتدبر في خلق السموات والأرض التي خلقها الله لتدل على عظمته وسخرها لنا وكإنزال الحديد وأن فيه بأسا شديد ومنافع للناس : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦ -٨] .

وقال الله عز وجل :﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[الحديد:٢٥] .

- **وهذا التفكر يفيد علمين جليلين :**

أحدهما : أننا نستدل بهذه المخلوقات العظيمة على عظمة خالقها وعلى نعمة التي لا تعد ولا تحصى ، وعلى صدق ما أخبر به من الميعاد والجنة والنار وصدق الرسل ، وهذا أجل العلمين وأعلاهما .

الثاني : أننا نتفكر فيها ونستخرج منها المنافع فإذا علم الإنسان أن في الحديد منافع اجتهد ليستخرج منه تلك المنافع ، كما هو حاصل في زمننا هذا من أنواع الصناعات المختلفة من هذا المعدن العظيم ، وكذلك سخر لنا الأرض لنزرعها ونستخرج معادنها وبركاتها ، وجعلها طوع علومنا وأعمالنا لنستخرج منها الصناعات النافعة في أمور الدين والدنيا : ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾**﴾[البقرة:٢٩] .

فما لا يتم المطلوب إلا به فهو مطلوب شرعًا ، وهذا يدل على أن تعلم الصناعات والمخترعات الحادثة النافعة مطلوب شرعًا كما أنه لازم عقلاً ، وأنها من الجهاد في سبيل الله ، ومن علوم القرآن فإن القرآن نبه العباد إلى أن الحديد فيه بأسٌ شديد ومنافع للناس ، وأنه سخر لهم ما في الأرض فعليهم أن يسعوا لتحصيل تلك المنافع من أقرب الطرق ، كما لا تخفى عظمة المنافع التي حصلت من صناعة الحديد والذهب والفضة والغاز والبترول وغيرها من المنافع التي هي مخزونة في الأرض .

ومن مقاصد القرآن

أنه أرشد إلى التوسط والاعتدال في الأمور وذم الغلو والتقصير وأمرنا بالعدل والقسط في كل الأمور ولزوم الحد فيها بلا غلو ولا تقصير ، ومدح أهل العدل وذم أهل الظلم والعدوان : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

ففي مجال عبادة الله أمر الحق سبحانه بالتمسك بما عليه النبي صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة ونهى عن مجاوزة ذلك وتعدي الحدود في آيات كثيرة ، وذم المقصرين في آيات كثيرة ، فالعبادة التي أمر الله بها ما جمعت الإخلاص لله والمتابعة للرسول ﷺ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

ومتى فقد الأمران أو أحدهما فهي من الأعمال اللاغية : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال النبي ﷺ « مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » .متفق عليه (١) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧١٨)، واللفظ له.

وفي حق الأنبياء والرسل أمر بالاعتدال في حقهم ، فأمر بالإيمان بهم وإتباعهم ومحبتهم ومعرفة أقدارهم ونهى عن الغلو فيهم ، وهو أن يرفعوا فوق منزلتهم التي أنزلهم الله ، ويجعل لهم من حقوق الله التي لا يشاركه فيها أحد : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٧٧] .

كما نهي عن التقصير في حقهم في الإيمان بهم وعدم إتباعهم وعن توقيرهم ، وذم الغالين فيهم كالنصارى الذين غلوا في عيسى ، فقالوا إنه إله أو ابن الله ، كما ذم الجافين للأنبياء كاليهود الذين قالوا في عيسى ما قالوا ، وذم من فرق بينهم فآمن ببعض وكفر ببعض :﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥] .

وكذلك العلماء والأولياء تجب محبتهم ومعرفة أقدارهم ، ولا يجوز الغلو فيهم وإعطائهم شيئًا من حق الله ، أو حق رسوله الخاص ، ولا يحل جفاءهم وعداوتهم وإيذائهم فمن عاد لله وليًا فقد بارز الله بالمحاربة وكذا أمر بالاعتدال في الإنفاق وأمر بأحسن الأخلاق ونهى عن مساوئ الأخلاق: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[الفرقان: ٦٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الإسراء:٢٩] .

وأمر القرآن بأداء الحقوق وذم من قصر في ذلك كبر الوالدين وحقوق الأقارب والأصحاب والأقارب والجيران ، كما ذم من غلا فيهم وفي

غيرهم ، والعدل والوسط أن تكون أعمالك موافقة للشرع في الكمية والكيفية ، والغلو أن تزيد والتفريط أن تنقص والجفاء أن تترك :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[النحل:٩٠] .

ومن مقاصد القرآن : أنه أمر بحفظ حدود الله ونهى عن تعديها أو قربانها ، وحدود الله هي ما حد لعباده الشرائع الظاهرة والباطنة التي أمرهم بفعلها ، والمحرمات التي أمرهم بتركها ، والحفظ لها يكون بأداء الحقوق اللازمة وترك المحرمات الظاهرة والباطنة ، وحيث قال سبحانه : ﴿ **تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ** ﴾[البقرة: ٢٢٩] .

كان المراد بهذه الحدود ما أحله الله لعباده وما فصله من الشرائع لأنه أمر بملازمتها ونهى عن مجاوزتها ، كما أمر بملازمة ما أحله من الطعام والشراب واللباس والنكاح ونهى عن تعدي ذلك إلى ما حرم منها ، وكما أمر بملازمة ما شرعه من الأحكام في الوضوء والصلاة والنكاح والطلاق وغيرها ، ونهى عن تعدي ذلك إلى ما لا يجوز شرعًا .

وكما أمر الله بالمحافظة على ما فسره في أحكام المواريث ولزوم حده ونهى عن تعدي ذلك بتوريث من لا يرث وحرمان من يرث ، وتبديل ما فرضه بغيره :﴿ **تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ** ﴾[البقرة: ٢٢٩] .

وحيث قال سبحانه : ﴿ **تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ** ﴾[البقرة: ١٨٧] .

كان المراد بذلك المحرمات ، نهى عن فعلها ونهى عن مقدماتها وأسبابها الموصلة إليها كما نهاهم عن المحرمات على الصائمين فقال : ﴿ **تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ** ﴾[البقرة: ١٨٧] .

ونهى عن الزنا وجميع الأسباب الموصلة إليه ؛ لأن الراعي حامي الحمى يوشك أن يقع فيه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء:٣٢] .

وما أسكر كثيره فقليله حرام فحدود الله هو ما حده الله لعباده من المباحات والمأمورات والمنهيات ، فالمأمورات والمحللات أمر بلزومها ونهى عن تعديها إلى غيرها ، فالاعتداء في الواجبات أن يزيد فيها أو يقصر ، والاعتداء في المحللات أن يتجاوزها إلى المحرمات فمثلًا أمر الله بالأكل والشرب ولكن نهانا عن الإسراف والتبذير الذي يضر الإنسان ، فقال سبحانه : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف:٣١] .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَٰنَ الشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] .

فالأكل والشرب من الحلال مباح والإسراف والتبذير محرمًا وكذا أمرنا بلزوم حدوده في جميع الأحكام وأنهى عن تعديها بزيادة أو نقص ، كما قال النبي ﷺ « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمرُنا هذا فهو رَدٌّ » . أخرجه مسلم[1] .

ومن مقاصد القرآن أنه بين أن الإيمان بالله أصل كل خير في الدنيا والآخرة ، وبفقده يفقد الإنسان كل خير في الدنيا والآخرة : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١-٣].

ولهذا كرر الله من ذكره أمرًا به ونهيًا عن ضده وترغيبًا فيه وبيانًا بأوصاف أهله وما لهم من جزيل الثواب ، فإذا كان المقام مقام خطابًا للمؤمنين بالأمر

(١) أخرجه مسلم رقم: (١٧١٨).

والنهي أو مقام إثبات الأحكام الدنيوية بوصف الإيمان فإنه يتناول كل مؤمن سواءً كان متمًا لواجبات الإيمان وأحكامه وأوصافه ، أو كان ناقصًا في شيئًا منها ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ [التحريم:٨].

أما إذا كان المقام مقام مدح وثناء وبيان الجزاء الكامل للمؤمن ، فالمراد بذلك المؤمن حقا الجامع لخصال وصفات الإيمان وأركانه ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

فالخطاب في القرآن بلفظ الإيمان ينقسم إلى قسمين :

١ – خطاب يراد به الإيمان الكامل .

٢ – خطاب يراد به مطلق الإيمان .

الأمر والنهي والأحكام المتعلقة بالإيمان تشمل كل مؤمن ، وإن كان فاسقًا ، المؤمن الكامل وغير الكامل كلهم يأمر بالصلاة والزكاة ويأمر

بالخير ويأمر بالإحسان وينهى عن الظلم والفساد والمحرمات ، وأما إذا كان السياق سياق مدحٍ وثناء المراد منه الإيمان الكامل وأهل الإيمان الكامل فيدخل فيه فاسق فالإيمان الكامل له ثوابٌ كامل :﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥] .

فهؤلاء المؤمنون جمع الله لهم بين الإيمان الكامل واليقين الكامل والإنابة التامة التي أثرها الانقياد لله بفعل المأمورات وترك المنهيات ، والوقوف عند حدود الله والإخلاص لله ، وهذه أوصاف المؤمن المطلق الذي سلم من العقاب واستحق الثواب ونال كل خير رتب على الإيمان فإن الله رتب على الإيمان في كتابه من الفوائد والثمرات ما لا يقل عن مائة فائدة وكرامة ، كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها ، رتب على الإيمان نيل رضاه الذي هو أكبر من كل شيء ، رتب عليه دخول الجنة والنجاة والسلامة من عذاب القبر ، السلامة من شدائد يوم القيامة ، والبشرى بكل خير في الدنيا والآخرة ، والثبات في الدنيا على الإيمان والطاعات ، والثبات عند الموت في القبر على الإيمان والتوحيد .

وإجابة الملكين بالقبر بالجواب النافع السديد وطمأنينة القلوب وراحة النفوس وصلاح الأحوال وصلاح الذرية ، وجعلهم قرة عين للمؤمن والحياة الطيبة في الدنيا والرزق والحسنة وتيسير المؤمن لليسرى وتجنيبه للعسرى .

والصبر عند المحن والمصائب ، ووضع الله عنهم الأثقال ودفع عنهم جميع الشرور ، وحقق لهم النصر على الأعداء ورفع المؤاخذة على الناسي والجاهل والمخطئ ، وأن الله لم يضع عليهم الأصار والأغلال، بل أزالها ولم يحملهم ما لا طاقة لهم به ، ومغفرة الذنوب والتوفيق للتوبة والقرب من الله والقرب من رحمته ونيل ثوابه ومغفرة الذنوب ورفعة الدرجات وحب الله للمؤمنين وغير ذلك من الخيرات والثمرات في الدنيا والآخرة كلها مرتبة على الإيمان كما أن الشرور كلها على فقد الإيمان :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[الأنعام:٨٢].

وقال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾[الأعراف:١٥٧] .

أنه اشتمل على أجناس العلوم النافعة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[النحل:٨٩] .

فعلى المسلم أن يستفيد من تلك العلوم ويفيد غيره ويعمل بما علم ويعلم غيره : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾[الأنعام:١٥٥] .

فأجل علوم القرآن على الإطلاق ، علم التوحيد ، وما لله من الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الحميدة والمثل الأعلى ، ليعرف القلب الإله الحق الذي ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه ، فيعبد الله بموجب هذه المعرفة للدين الحق الذي أرسل به رسوله ﷺ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

ويؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره ، ويعبد الله بموجب هذا الإيمان .

هذا وهذا هو أصل العلم ، وأصل التعبد ، وأصل الفلاح ، وفي القرآن صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وما جرى لهم وعليهم ، على من وافقهم وخالفهم ، وما هم عليه من الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة وكمال الإيمان والتقوى ، فيقتضي بهم خاصة سيدهم محمد عليه الصلاة والسلام في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام:٩٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

فليس القصد من ذكر قصصهم إن تكون سمرًا ، وإنما القصد أن تكون عبرة : ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف:١١١] .

ومن علوم القرآن ، علم أهل الخير والسعادة وأهل الشر والشقاوة ، ليقتضي المؤمن بالأخيار ويجتنب الأشرار ، وبين القرآن صفات الأخيار التي وصلوا بها إلى رضوان الله والجنة ، وصفات الأشرار التي وصلوا بها إلى دار الجحيم ، وأن حب المؤمنين من الإيمان وبغض الكافرين من الإيمان .

ومن علوم القرآن ، علم الثواب والعقاب في الدنيا والبرزخ والآخرة على جميع أعمال الخير والشر ، وذلك إظهارًا لعدل الله وإحسانه وسعة فضلة ، والإيمان باليوم الأخر ، الذي هو من أهم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾[النساء:٨٧] .

ومن علوم القرآن ، الأمر والنهي وذلك بالعلم بحدود ما أنزل الله على رسوله ، فكل مسلم مكلف بمعرفة الأمر والنهي والعمل به والدعوة إليه ، فينظر في كل أمر ما هو حده ويحاسب نفسه ، هل هو قائمُ بذلك كله أو بعضه أو تارك له ؟ .

فإن كان قائم به فليحمد الله ويسأله الثبات والزيادة من الخير ، وإن كان مقصرًا فيه فليعلم إنه مطالبُ به فليستعن بالله على فعله ويجاهد نفسه على ذلك :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾[الحشر: ٧] .

وكذلك في النهي يعرف حده ثم ينظر إلى نفسه ، فإن كان قد ترك ذلك المنهي عنه ، فليحمد الله على ذلك ويسأله الثبات على فعل الطاعات واجتناب المنهيات ، وليجعل الداعي له على ترك المنهيات طاعة الله ،

وابتغاء وجه ، ليكن تركه عبادة كما كان فعله عبادة :﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[النساء:١١٤] .

وإن كان غير تارك للمنهي عنه ، فليتب إلى الله توبة جازمة ، فمن قرأ القرآن وتدبره ، آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، هذا على صراط مستقيم . ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله عز وجل :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[الأنعام: ١٥٣]

ومن مقاصد القرآن :

إن الله عز وجل بين في القرآن الأمراض وأنها تنقسم إلى قسمين :

١- مرض الأبدان .

٢- ومرض القلوب .

- **وإن مرض القلوب قسمان :**

مرض شبه .

مرض شهوة .

فمرض الشبه : بسبب نقص العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعلم بدينه وشرعه ، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه ، والعلم بعظيم نعمه وإحسانه ، فمرض الشبة بسبب نقص هذا العلم العظيم .

ومرض الشهوة : بسبب نقص الإرادة ، فإذا اعتل القلب بالجهل صار مرضه مرض شبه كالمنافقين : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة: ١٠] .

وإذا اعتلت إرادة الإنسان فأحبت المعاصي ، وفعلت ما لا يرضي الله ورسوله ، فذلك مرضُ شهوة ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الأحزاب:٣٢] .

وصحة القلب وسلامته بأمرين :

١- بكمال العلم .

٢- وكمال الإرادة .

فإذا اجتمع في القلب كمال العلم بالله ، وكمال الإرادة بما يحبه الله ويرضاه ، فهذا هو القلب السليم ينجو به صاحبه : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعراء:٨٨-٨٩] .

فالقلب السليم هو الذي عرف الحق واتبعه ، وعرف الباطل وتركه .

آيات القرآن تزيل الجهل وترغب الإنسان في الطاعات وترهبه من المعاصي : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

فالقرآن الكريم بين أن كل من في قلبه شكٌ وشبهات فمرضه مرض جهل علاجه بالعلم الإلهي ، وكل من أراد شيئًا من المحرمات فمرضه مرض شهوة علاجه زيادة الإيمان ، وزيادة الإيمان تكون بالعلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده ، ودينه ، وشرعه .

فعلاج هذا المرض وهو مرض الشهوة زيادة الإيمان المانع من المعاصي : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

فآيات القرآن تزيد المؤمنين إيمانًا ، وتزيد المنافقين والكفار رجسًا : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥ ﴾[التوبة:١٢٤- ١٢٥] .

فالمؤمنون كلما سمعوا آية صدقوا فزاد إيمانهم ، وأما الذين في قلوبهم مرض فكلما سمعوا أية استكبروا عنها وشكوا فيها وكذبوا بها ، فازدادوا رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ، فالمنافقون قلوبهم مريضة بالكفر والشك فعاقبهم الله بأن زاد مرضهم بسبب كفرهم :﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ ﴾[البقرة: ١٠] .

أن الله بين في القرآن أن أعمال الأبدان وأقوال اللسان صحتها وفسادها وأجرها ووزرها بحسب ما في القلب من إرادة وجه الله أو غيره ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ ﴾[المائدة:٢٧] .

قال النبي ﷺ« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» . متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

فالأمر بالصدقة أو المعروف أو الإصلاح بين الناس كله خير ، لكن ثواب الآخرة لا يحصل إلا بالنية الخالصة لله عز وجل ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾ [النساء:١١٤] .

فمن فعل ذلك ابتغاء وجه الله نال به أجرًا عظيمًا ، ومن فعله رياءً وسمعة فإنه وإن ترتب على فعله الخير في الدنيا فإنه لا ينال عليه أجرًا يوم القيامة : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾ [الإسراء: ١٨- ١٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] .

وفي مقابله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾ [النساء:٣٨] .

وكذا قوله سبحانه : ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥ ﴾ [الأحزاب: ٥] .

ومن مقاصد القرآن الكبرى أن الله عز وجل بين في القرآن كيفية إدارة أحوال السياسة الداخلية والخارجية للأمة ، وذلك ببيان كل ما يحقق المصالح ويدفع المفاسد ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ

﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾ [ص:٢٦] .

وقال عز وجل : ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [المائدة:٤٨] .

والله أخبر عن المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم فقال : ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٨] .

وقال للنبي ﷺ: ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

فجميع أمور المؤمنين واستجلاب مصالحهم واستدفاع مضارهم ، كل ذلك متعلق بالشورى التي يصلون بها إلى الرأي السديد في مصالح دينهم ودنياهم ، وذلك بإعمال أفكارهم مجتمعة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة:٢]

فإذا تعينت المصلحة في طريق سلكوه ، وإذا تعينت المفسدة في طريق تركوه ، وإذا كان بذلك الأمر مصلحة ومفسدة نظروا أيها أقوى وأحسن عاقبة فاختاروا الأحسن ، وإذا رأوا أمرًا بين الأمور هو المصلحة ، ولكن ليست عندهم أسبابه نظروا بأي شيء تدرك تلك الأسباب بلا حصول مضرة عليهم ، وإذا رأوا مصالحهم تتوقف على الاسترداد بالصناعات والاختراعات الحديثة وما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم سعوا لذلك بحسب قدرتهم ليستغنوا عن غيرهم بما أباح الله لهم ، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩ ﴾ [البقرة:٢٩] .

وإذا رأوا أن السعي في جمع الكلمة وتوحيد الأمة هو الطريق الأقوم لسعادتهم وأمنهم جدوا واجتهدوا لتحقيق ذلك ، وإذا رأوا المصلحة في المقاومة والمهاجمة أو في المسالمة والمدافعة بحسب الإمكان سلكوا من ذلك ما يحقق المصلحة ويدفع المفسدة : ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾[الأنفال: ٦١] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

فمصالح المسلمين الداخلية والخارجية في كل زمان ومكان لا تحصل إلا بالشورى التي أرشد إليها القرآن ، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾[الأنفال: ٦٠] .

وهذا نص في وجوب إعداد القوة العقلية والمعنوية والمادية كلٌ حسب أسباب زمانه ، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٤٤] .

فأرشد الله المؤمنين أن يعتزوا بأنفسهم لا بقوادهم ، وأن يعتقد كل واحد منهم أن نفس ذلك القائد ، وأن يتعلقوا برب الناس لا بالناس حتى لا تتأثر حياتهم بفقد رئيسهم ، فيعدون أناسًا للأمور الدينية والدنيوية إذا فقد أحدهم قام بعمله غيره لتكون كلمة الله هي العليا ، وتنتظم أمور دينهم ودنياهم ، وكذا قوله سبحانه : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[التغابن: ١٦] .

أي اتقوا غضب الله وعقابه بفعل ما أمر به من خير وصلاح بحسب الاستطاعة ، واجتناب كل نهى الله عنه من مفسده ومضر مطلقة ، كما قال

النبي ﷺ« وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ »
أخرجه البخاري[1] .

وكذا قوله سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٥٨ ﴾ [النساء:٥٨] .

والأمانات كثيرة مختلفة فمن أجلها ولاية الكبيرة والصغيرة والدينية والدنيوية والعامة والخاصة ، وقد أمرنا الله عز وجل أن نؤدي الأمانات إلى أهلها بأن يجعل فيها الأكفاء الأتقياء لأن صلاح الأمور بصلاح الرؤساء المتوليين لها وصلاح المدبرين لها ، وفساد الأمور بضد ذلك ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[النساء:٥٨] .

فيجب أن تؤدى الأمانات إلى أهلها الذين يمكن أن يقوموا بها ، يؤدوا الأمانة فيها فلا يوضع الطبيب مكان المهندس ، ولا قائد السيارة مكان قائد الطائرة ، ولا الحداد مكان النجار وهكذا ، فلا يوضع مدرس الحساب ليدرس الفقه لأن هذا كله من الخيانة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾[الأنفال:٢٧]

ويجب تولية الأمثل فالأمثل فصلاح الرعية بصلاح ولاتها ، وفسادها بفسادهم ، ثم على الولاة الحكم بالعدل بين الناس كلهم ، ومن لازم العدل معرفة العدل في كل أمر من الأمور ، ومن ذلك طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله ورسوله ، فطاعة ولاة الأمور تابعة لطاعة الله ورسوله ، فإذا أمروا بطاعة الله أطعناهم وإذا أمروا بمعصية الله لم نطيعهم ، وإذا أمروا بأمر ليس

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨).

فيه طاعة ولا معصية مما فيه تنظيم الحياة في مصلحة الأمة فيجب طاعتهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء:٥٩].

وجميع ما شرعه الله عز وجل من القصاص والحدود على الجرائم ، وجميع العقوبات والنكال والتخويف لأهل الشر والفساد ، وما فيه صيانة لدماء الخلق وأموالهم وأعراضهم كل ذلك من الشرائع الحسنة المتعلقة بالسياسية الشرعية ، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والنصح للأمة في كل حال وتعليم شرع الله كل ذلك من السياسية الشرعية التي تصلح بها الأمة ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وكذا الحكم بالحق والعدل واجتناب الباطل والظلم ، فكل إنسان له حرية فيما يملك وللآخرين حرية فيما يملكون فمن اعتدى على حق غيره فهو ظالم ، والحرية الكاملة جاء بها القرآن والسنة ، والحرية الظالمة هي التي تعتدي على حقوق الناس وتمنعهم من التكلم بالخير والتحذير من الشر ، وإطلاق هذه الحرية هو من إطلاق عنان الجهل والفساد والعداون الذي يحصل به فسادٌ للأمة وانحلال أمورها :﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾[المائدة:٤٩-٥٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل:٩٠] .

والإسلام فتح الباب للأولى ، وأغلقه عن الثانية تحصيل للمنافع ودفعًا للمضار : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران:٨٥] .

- **ومن أعظم مقاصد القرآن :**

أن الله عز وجل ميز في كتابه بين حقه الخاص وحق رسوله الخاص ، والحق المشترك بين الله ورسوله ، وحقوق الناس .

فالحقوق التي بينها الله في القرآن أقسام :

الأول : حق الله وحده لا شريك له ، وهو عبادته وحده لا شريك له في جميع أنواع العبادات ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات:٥٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦] .

الثاني : حق الرسول ﷺ الخاص به وهو تعزيره وتوقيره والاقتداء به وإتباعه ، كما قال سبحانه : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

وقال عز وجل : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الثالث : حق مشترك بين الله ورسوله ، وهو الإيمان بالله ورسوله وطاعة الله ورسوله ، ومحبة الله ورسوله مع التفاوت في ذلك .

فأما حقه سبحانه وهو العبادة وقد ذكره الله في آيات كثيرة ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦] .

وأما حق رسوله كفاه ، كما قال سبحانه : ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

وأما الحق المشترك : ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ ﴾[الفتح: ٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[الفتح: ٩] .

حق مشترك .

وقال الله عز وجل :﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[الفتح: ٩] .

خاص بالرسول ﷺ.

وقال الله عز وجل :﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ ﴾[الفتح: ٩] .

حق الله وحده لا شريك له .

وقال الله عز وجل :﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[الحديد:٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾ [آل عمران:١٣٢] ..

حق مشترك .

وقال الله عز وجل :﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾[التوبة ٥٩] .

حق مشترك .

وقال الله عز وجل :﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾[التوبة ٥٩] ..

حق خاص بالله وحده .

رابعًا : أما حقوق الخلق ، فكما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[النساء:٣٦] .

حق الله .

وقال الله عز وجل :﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ ﴾[النساء:٣٦] .

حق للخلق ، كالقريب والبعيد والمحتاج .

وجميع ما أمر الله به وحث عليه من القيام بحقوق رسوله وحقوق الوالدين والأقارب والجيران وغيرهم ، كله حق لله تعالى يقوم به العبد امتثالًا لأمر الله وتعبدًا له .

والإيمان بالله ورسوله لا يستويان وإن اتفقا في الأصل فإنهما مختلفان فالإيمان بالله ، إيمانُ بالله لذاته لأنه الرب ، والإيمان بالرسول إيمانٌ به لأن الله أرسله وأمرنا بالإيمان به ، وتعظيم الرسول من تعظيم الذي أرسله ، ولهذا من أطاعه فقد أطاع الله ، كما قال سبحانه : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾[النساء: ٨٠] .

ومن مقاصد القرآن

أن الله أمر في القرآن بالمسارعة إلى أداء أمور الخير التي يخشى فواتها ، ويأمر بالتثبت وعدم العجلة في الأمور التي تخشى عواقبها ، ففي المبادرة لأعمال الخير يقول سبحانه : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ

عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ﴾[المائدة:٤٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦١] .

فالسابقون في الدنيا إلى الخيرات والطاعات هم السابقون في الآخرة إلى الجنات والكرامات وفي التثبت في الأمور التي يخشى عواقبها ، يقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الحجرات:٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾[النساء:٩٤] .

وقد عاب الله عز وجل على المتسرعين في إذاعة الأخبار قبل التثبت بصحتها بقوله : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[النساء:٨٣] .

ومن هذا الباب الأمر بالمشاورة في الأمور وأخذ الحذر وألا يقول الإنسان ما لا يعلم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء:٣٦] .

- **فالأمور ثلاثة :**

الأول : أمر علمت مضرته فلا يجوز لك الإقدام عليه كالشر والمعاصي والخبائث .

الثاني : وأمر علمت منفعته فالمسارعة إليه أكمل كسائر أنواع العبادات والواجبات والمستحبات .

الثالث : وأمر ترددت فيه وهذا يحتاج إلى تثبت قبل الإقدام فيدخل من ذلك ما أشكل عليك بذاته هل هو نافع أو ضار ؟ وما أشكل عليك بمقارنته مع غيره هل هو أنفع من غيره أو غيره أنفع منه ؟ .

فقد يكون الشيء منفعة في ذاته لكن يتردد الإنسان بين كون غيره أنفع منه وكون غيره أنفع منه فحين إذًا يجب التثبت والتشاور ومن مقاصد القرآن التي تحصل الاستقامة للعبد يذكره الله عز وجل في القرآن إذا مالت نفسه إلى ما لا ينبغي من الشهوات والمحرمات ما يفوته من الخير وما يحصل له من الضرر ؛ لأن الأمر والنهي لا يكفي أكثر الخلق فيكفهم عما لا ينبغي حتى يقرن ذلك بذكر ما يفوت من المحبوبات التي تزيد أضعافًا عن المحبوب الذي يكرهه الله وتحبه النفس ، وما يحصل من المكروه المترتب عليه ، كما ذكر الله فتنة الأموال والأولاد التي تفتن العبد عن الاستقامة كما ،

قال سبحانه : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[الأنفال: ٢٨]

وقال الله عز وجل: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٨- ١٩] .

وكذا رغب الباري في كتابه الكريم الصلاح والإصلاح في كل حال ، فأمر بالصلاح والإصلاح في آيات كثيرة وأثنى على الصالحين والمصلحين في آيات أخر ، والصلاح أن تكون الأمور مستقيمة معتدلة مقصودًا بها غايتها الحميدة : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

فأعمال الخير تصلح القلوب والأبدان ، وتصلح الإيمان والأخلاق وتصلح الدين والدنيا ، وضدها فساد هذه الأشياء ، والصلاح هو الاستقامة على أوامر الله كما أمر بامتثال لأوامر أو اجتناب نواهيه : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣١] .

والإصلاح هو إصلاح الأمور الفاسدة في الدين والدنيا ، بالسعي في إزالة

الفساد والشر والضرر العام والخاص ، ومن أعظم أنواع الإصلاح السعي في إصلاح أحوال البشرية بالدعوة إلى الله ليخرج من الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد ، من الجهل إلى العلم ، ومن الشقاء إلى السعادة ، كما قال شعيب لقومه : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾[هود:٨٨] .

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفقي إلا بالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ، وكذا السعي في إصلاح أحوال المسلمين وجمع كلمتهم على الحق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ ﴾[آل عمران: ١٠٣] .

فكل ساعي في مصلحة دينيه أو دنيوية فهو مصلح والله يهديه ويرشده ويسدده ، وكل ساعٍ بضد ذلك فهو مفسد والله لا يصلح عمل المفسدين ، وقد أثنى الله على الصالحين بقولهم : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء:٦٩-٧٠] .

وأثنى على المصلحين في آيات كثيرة لأن آثار الصلح والصلاح والإصلاح فيها خير وبركة ورحمة : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

فأثنى سبحانه : على المصلحين بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] ..

فالصلاح في الأمة بدون إصلاح لا يمنع ارتفاع الهلاك عنهم بل لينجو من العذاب لابد ليكونوا صالحين مصلحين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كمال الإنسان أن يكون صالحًا بنفسه مصلحًا لغيره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وقال الله عز وجل :﴿ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[العصر:٣]. إصلاح النفس .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:٣]. إصلاح الغير .

ما أمر الله به جل جلاله في كتابه إما أن يوجه إلى من لم يدخل فيه فهذا أمر له بالدخول فيه ليدخل فيه ويتصف به ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة: ٢١]

وإما أن يوجه إلى من دخل فيه فهذا أمره الله به ليصحح ما وجد منه ويكمل ما نقص منه ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء:١٣٦] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

فالهداية أنواع والمؤمن يطلب من ربه أن يكمل له ما نقص من الهداية في باب معرفة الله وباب الأعمال الصالحة وباب أركان الإيمان ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾[الفاتحة : ٢-٧] .

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أنه إذا منعهم شيئًا تعلقت به نفوسهم وإراداتهم فتح لهم أبوابًا أنفع لهم منه وأسهل وأولى ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢ ﴾[النساء:٣٢] .

فنهاهم ربهم سبحانه عن التمني الذي ليس بنافع وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان وأمرهم أن يسألوه من فضله الذي أعطى غيرهم منه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾[غافر:٦٠] .

ومن مقاصد القرآن أن الله سبحانه بين في القرآن أن الأجر والثواب في العبادات علي قدر المشقة ، وأن تسهيله لطريق العبادات من منه وفضله وإحسانه ورحمته ، وأنها لا تنقص الأجر شيئًا فالجهاد عبادة عظيمة فيها منافع كثيرة ، وفيها كذلك مشقات كثيرة تكرهها النفوس بما فيها التعرض

للموت والأخطار وتلف النفوس والأموال ، لكن هذه المشقات بالنسبة لما تفضي إليه من العزة والكرامات ليست بشيء بل هي خير محض وإحسان صرف من الله إلى عباده ، حيث قيض لهم عبادات توصلهم إلى أعلى الدرجات ومنها الجهاد في سبيل الله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[البقرة:٢١٦] .

وكلما عظمت المشقة في فعل الطاعات وترك المحرمات والصبر على البليات كان له أجل وأعظم الثواب : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال النبي ﷺ لعائشة لما تعبت في الحج : « إِنْ أَجْرُك عَلَى قَدْرِ نَصَبِك » . متفق عليه[1] .

فالله عز وجل رءوف بالعبد لطيف بهم يقلب لهم الأحوال التي تصلحهم فعلى العبد إن سهل الله له طريق العبادة وهونها عليه أن يحمد الله ويشكره على هذه النعمة وإن شقت على النفوس صبر واحتسب الأجر في عنائه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٧٨٧)، ومسلم برقم: (١٢١١)، واللفظ له.

ورجا عظيم الثواب عليها :﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[يوسف:٩٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣] .

فتسهيل الطاعات من أثار رحمة أرحم الراحمين ، وبيان المنة على العباد بتسهيل الطاعات عليهم فلا يسوق العبد الطريق العسير مع وجود الطريق اليسير ؛ لأنه إن ترك السهل الميسر إلى الصعب الشديد فقد ترك نعمة أنعم الله بها عليه تعينه على طاعة ربه ، فإن حصلت له مشقة لم يقصدها فهذا من الله لا من العبد ، فاصبر فليصبر فليحتسب : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠] .

والله يحب الصابرين هذه هي شريعة الله السمحة الميسرة : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[البقرة:١٨٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء: ٢٨] .

- **ومن مقاصد القرآن التي بينها الله في كتابه :**

أن الله عز وجل يكتب للعبد المؤمن عمله من خمسة أبواب :

الأول : يكتب الله للعبد العمل الذي باشره ، كما قال سبحانه : ﴿ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

وقال عز وجل : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾[الزلزلة: ٦-٧] .

الثاني : يكتب ويكمل له ما شرع فيه ولم يكمله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٠ ﴾[النساء:١٠٠] .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

الثالث : يكتب الله له أجر ما نشأ من عمل ، ولم يكن على باله ، كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢ ﴾[يس:١٢] .

وقال النبي ﷺ: « إذا مَات الإنسَانُ انقطعَ عمَلُه إلا مِن ثلاثْ : صدَقة جاريَة ، أوْ عِلم ينتفِعُ به ، أوْ ولدٌ صالِحٌ يدعوُ له » . أخرجه مسلم(١) .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا » . أخرجه مسلم(٢) .

الرابع : يكتب له ما تركه لعذر وكان يعمله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ له ما كان يعمل صحيحا مقيمًا » . أخرجه البخاري(٣) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦٣٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠١٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢٩٦٦).

الخامس : أن ما تمناه العبد من الخير وكان من عاداته أن يعمله لكن لم يقدر عليه لعذر فالله يكتب له أجره كما قال النبي ﷺ« إِنَّ بِالمَدِينَةِ أَقْوَامًا ، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلا كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ وَهُمْ بِالمَدِينَةِ مُقِيمُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ » . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ[1] .

أما ما يتمناه العبد ولم يقدر عليه وليس من عاداته فهذا يكتب له أجر النية لا أجر العمل ، كما قال النبي ﷺ حين قسم الناس إلى أقسام « عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُّ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ للهَّ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُّ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ » . أخرجه أحمد بسند صحيح[2] .

وكما قال الفقراء النبي ﷺ سبق أهل الدثور بالأجور والدرجات العلا ، ثم ذكروا أنهم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، وينفقون ولا ننفق فأخبرهم أن يسبحوا ويحمدوا ويكبروا ثلاث وثلاثين دبر كل صلاة وأنهم بذلك يدركون ما سبقهم ، فلما سمع الأغنياء بذلك عملوا مثله فجاءوا الفقراء فقالوا يا رسول الله سمع إخواننا الأغنياء بما صنعنا وعملوا مثله فقال لهم : « ذَلِكَ فَضْلُ اللهَّ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ »[3] .

ولم يقل لهم لكم أجركم بنيتكم .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٣٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٠٣١).

(٣) أخرجه مسلم رقم: (٥٩٥).

- **ومن مقاصد القرآن العظيمة :**

أن الله جل جلاله بين أن هذا القرآن العظيم يهدي للتي هي أقوم وأكمل وأصلح في كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] .

فالقرآن العظيم أعظم كتاب وأقوم تشريع وأحكم تنزيل فيه تبيان كل شيء كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

فالقرآن أقوم في كل أمر ، في العقائد والأخبار والأحكام والأعمال والأخلاق والآداب والسياسات والمصالح الدينية والدنيوية : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] .

فالقرآن يدل عليها ويهدي إليها ويرشد إليها ويأمر بها ويرغب فيها ويحث عليها .

فأما العقائد فإن القرآن بين العقائد النافعة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره وفي هذه العقائد صلاح القلوب وغذائها لأنها تملأ القلوب توحيدًا وإيمانًا وتعظيمًا لله وحبًا له وتوكلًا عليه وإنابةً إليه ومن أجل هذا خلق الله الخلق ليعبدوا الله وحده لا شريك له :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وأما الأخبار فأخبار القرآن كلها حق وصدق فيما أخبر الله به عن نفسه وعن رسله وعن مخلوقاته : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام:١١٥].

وأما الأحكام فكلها عدل وإحسان ورحمة فما أمر الله ورسوله إلا بكل خير وما نهى الله ورسوله إلا عن كل شر ، فأمر بالحلال ونهى عن الحرام ، وأمر بأكل الطيبات ونهى عن أكل الخبائث :﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾[هود:١] .

وأما الأخلاق فالقرآن يدعوا إلى الأعمال الصالحة وينهى عن الأعمال الفاسدة ، ويدعوا إلى مكارم الأخلاق من الإيمان والصدق والبر والإحسان والرحمة والعفو وغيرهم من مكارم الأخلاق ، وينهى عن ضدها من الكفر والشرك والفجور والكذب والظلم :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠] .

وأما الأعمال الدينية التي يدعوا إليها فهي أحسن الأعمال ، منها القيام بحقوق الله وحقوق العباد على أكمل الحالات وأجلها وأوصلها إلى المقاصد الحسنة ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء:٢٣] .

وأما السياسات فالقرآن يهدي ويرشد إلى سلوك الطرق النافعة في تحصيل المصالح ودفع المفاسد ، ويأمر بالتشاور فيما لم تتضح مصلحته وذلك في

كل مجال في سياسة العبد مع نفسه وأهله وأولاده وجيرانه وأصحابه والناس كافة : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨]

بهذا كله فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في كل شيء وكل ما سواه من القوانين المعارضة للقرآن تدعوا للذي هو أسوء وأظلم :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران:٨٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة:٥٠] .

فالقوانين الوضعية كلها لا خير فيها ، وإن قدر فيها خير فالقرآن خير منها وأقوم وأنفع وأحسن : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[الفرقان:٣٣] .

وقال الله عز وجل :﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء:٦٦ -٦٨] .

فكل شيء أقوم وأحسن فالقرآن يهدي إليه وكل شيء أعوج وأسوء فالقرآن لا يهدي إليه بل يهدي إلى ضده :﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾[الكهف:١-٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣ ﴾[الزمر:٢٣] .

ومن مقاصد القرآن الكبرى أن الله بين في القرآن أن قيمة الإنسان بصفاته لا بذاته ، وأن العبرة بحسن حاله هي إيمانه وعمله الصالح فقط : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[الحجرات:١٣] .

وأنه لا قيمة لما عند الإنسان من الأموال والأولاد ولا بما وصل إليه من المناصب والرئاسات فهذه نعم يعطها الله من يحب ومن لا يحب ولكن العبرة فقط بالإيمان والأعمال الصالحة فأبو لهب ذو النسب والحسب سيصلى نارًا ذات لهب ، وبلال بتوحيده وإيمانه سمع النبي صلى الله عليه وسلم دفن نعليه في الجن: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾ [سبأ:٣٧] .

فمن أتى الله بالإيمان والتقوى ربح وأسعده الله في الدنيا والآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فكمال الإنسان بالإيمان والعمل الصالح ، فمن أتى بالإيمان والعمل الصالح دخل الجنة من كان وحيث كان غنيًا أو فقيرا عربيًا أو أعجميًا حرًا أو عبدًا . ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ ﴾[البقرة: ١١١] .

ثم ذكر الله البرهان الذي من جاء به دخل الجنة : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة:١١٢] .

فميزان الأمور كلها هو الإيمان والعمل الصالح وكمال الإنسان بذلك فقط وما يعطاه الإنسان من المال والولد والجاه فهو نعمة يبتلى الله بها العباد ، فمن استعملها في طاعة الله فاز ، ومن استعملها في معصية الله خسر دنياه وأخرته : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ:٣٧] .

وقال تعالى :﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة:٥٥] .

ومقاصد الإسلام الكبرى عظيمة وكثيرة جدًا ، وهذه هي أهم مقاصد القرآن الكريم الكبرى التي يريد الله منا أن نتعلمها ونعمل بموجبها وندعو إليها لنفوز بأعظم الكرامات في الدنيا والآخرة ونسعد برضوان الله ورؤيته ودخول الجنة يوم القيامة .

والترغيب في قراءة القرآن وسيلة لفهم تلك المقاصد العظمى ، وتدبر القرآن العظيم وسيلة لمعرفة تلك الأصول الكبرى والعمل بها ، وهي أصول عظيمة نافعة جامعة .

اللهم أعنا على ذكرك وعلى شكرك وعلى حسن عبادتك و اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وعملا صالحًا يقربنا إليك إنك أنت العزيز الكريم .

هذا ما تيسر من ذكر المقاصد الكبرى والقرآن العظيم مملوء بتلك المقاصد فليطلع عليها العبد ويتدبرها في كتاب ربه الكريم : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل:٨٩] .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المقدمــة ٥

القرآن بين التدبر والتفكر في ضوء القرآن والسنة: **٩**

ويشتمل على ما يلي: **٩**

حكمة إنزال القرآن الكريم ١٠

عظمة القرآن الكريم..... ١٧

فضائل القرآن الكريم..... ٢٣

فواتح سور القرآن الكريم ٣٤

فضائل السور..... ٤١

فقه نزول القرآن ٤٦

فصاحة القرآن الكريم ٦١

أقسام القرآن الكريم..... ٦٥

معجزات القرآن الكريم ٧٤

أنواع قراءة القرآن ٧٨

فقه تدبر القرآن الكريم ٩٢

علامات وثمرات تدبر القرآن..... ١٠٥
مفاتيح تدبر القرآن الكريم ويشتمل على..... ١٠٨
١- المفتاح الأول: ١٠٨
٢- االمفتاح الثاني ١١٥
٣- المفتاح الثالث ١٣٢
٤- المفتاح الرابع..... ١٣٤
٥- المفتاح الخامس ١٣٧
٦- المفتاح السادس ١٣٩
٧- المفتاح السابع:..... ١٤١
٨- االمفتاح الثامن..... ١٤٨
٩- المفتاح التاسع ١٥١
١٠- المفتاح العاشر ١٥٦
لماذا نتدبر القرآن ؟ ١٦١
مقاصد القرآن الكريم ١٦٨
فهرس الموضوعات ٢٤٢